هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 152

رجب/ شعبان 1442هـ شباط/ آذار 2021 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج
محمود طنينة

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة
أ.د. حسن عبد الرحمن السلوادي
د. حمزة ذيب حمودة
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء

مديرية العلاقات العامة والإعلام . دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517- القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603

موقعنا على الإنترنت :www.darifta.ps للمراسلة عبر البريد الإلكتروني :israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب .

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

جرائم استباحة المسجد الأقصى بين الاهتمام والتجاهل — الشيخ محمد أحمد حسين — 4

كلمة العدد

فبأي آلاء ربك تتمارى — الشيخ إبراهيم خليل عوض الله — 13

ملف العدد

فلسطين المباركة تفتح أبوابها لمعراج سيد المرسلين — الشيخ عمار بدوي — 27
حقنا في الأقصى والقدس وفلسطين — الشيخ أحمد شوباس — 32
قراءة في حادثة الإسراء ونصوص الدين
مصلى باب الرحمة في أدب الرحلات الجغرافية — د. محمد بحيص عرامين — 39

قيم ومواعظ

اللهم إنا نشكو إليك ... — أ. كمال بواطنة — 49
قبس من خلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم في العفو والصفح — الشيخ د. محمد يوسف الحج محمد — 53

فهرس العدد

فتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	58

محاور تربوية

نهي الآباء والأمهات عن الدعاء على البنين والبنات	الشيخ إحسان عاشور	64
أيهما خير للمرء الانعزال عن الناس أم الاختلاط بهم	الشيخ شريف مفارجة	69
دور التلفاز في حياة الأطفال	أ. يوسف عدوي	75

من واحة الشعر

قصيدة/ شدوا الرحال إلى الأقصى	الشيخ محمد ذياب أبو صالح	84
قصيدة/عصر الكمامة	أ.زهدي نسيم حنتولي	86

أدبيات

مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	88
اقرأ ... وتذكر	أ. إيمان تايه	93

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	96
مسابقة العدد 152	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 150	أسرة التحرير	111

جرائم استباحة المسجد الأقصى بين الاهتمام والتجاهل

الشيخ محمد أحمد حسين
المشرف العام

استباحة حرمة المسجد الأقصى المبارك تتصاعد وتيرتها لمستوى يندى له جبين كل مسلم غيور على مقدسات دينه وأمته، فالاقتحامات من الطامعين بوضع اليد عليه تجري على قدم وساق، وبرعاية الجهات الرسمية والأمنية لسلطات الاحتلال ومشاركتها، والحفريات الظاهرة والباطنة عند جوانبه وأساساته، يتفاقم التوجس من تداعياتها وآثارها الوخيمة، وللناس مما يجري مواقف واتجاهات، منها العادل المنصف، ومنها غير ذلك.

عينة دالة من جرائم استباحة القدس والمسجد الأقصى

فظائع التدنيس والانتهاك للقدس ومقدساتها وبخاصة للمسجد الأقصى المبارك تتناقل أخبارها وسائل الإعلام المختلفة والمتاحة، ويطلع عليها القاصي من الناس والداني من عامتهم وخاصتهم، ومما تضمنته تلك الأخبار مؤخراً: حواجز احتلالية عزلت القدس، والمسجد الأقصى بات شبه خال من المصلين بسبب قيود الإغلاق، وتحولت القدس وبخاصة بلدتها القديمة ومحيط المسجد الأقصى المبارك إلى ثكنة عسكرية، وما يرافق ذلك من تشديد الخناق على أهل القدس وروادها، وتحرير المخالفات الباهظة والظالمة لهم

ولمركباتهم، وفي مقابل ذلك؛ فإن عشرات المستوطنين، وأحياناً المئات منهم، يجوبون شوارع القدس، حتى في ساعات الإغلاق المحكم، ويقتحمون باحات المسجد الأقصى المبارك، تحت حماية مشددة من شرطة الاحتلال، وخلال تلك الاقتحامات التي يقودها في كثير من الأحوال حاخامات ومسؤولون من الحكومة الحالية أو سابقاتها، ويتم أداء طقوس دينية، والشرح للمقتحمين عن نظرية إقامة الهيكل المزعوم في باحات المسجد الأقصى المبارك، وأحياناً يتم التصريح عن نوايا مبيتة ضد مسجد قبة الصخرة المشرفة، حيث يدور حديث عن خطط هدمها لإقامة الهيكل المزعوم مكانها، وانطلقت دعوات مؤخراً إلى تفكيكها، ومن أحدث صرعات جرائم استباحة القدس والمسجد الأقصى المبارك، قيام مجموعة مجهولة الهوية، بحماية شرطة سلطات الاحتلال بإجراء مسح شامل وتصوير للمسجد الأقصى المبارك وساحاته ومرافقه، وذلك بالتزامن مع استمرار الحفريات التي تقوم بها سلطات الاحتلال في ساحة البراق والقصور الأموية، وفي باب الأسباط ومقبرتي الرحمة واليوسفية، وقد نتج عن هذه الحفريات تشققات في المتحف، وباب الرحمة، وغيرهما من أجزاء المسجد الأقصى، إضافة إلى تصدعات خطيرة في بعض المنازل القريبة، وإلى جانب هذه الانتهاكات؛ فإن ملاحقة موظفي الأوقاف الرسميين وحراس المسجد الأقصى تتوسع، وتجري بشكل مستفز من حين إلى آخر، ويشمل ذلك الاستدعاء للتحقيق، والسجن والإبعاد عن المسجد لفترات، يتجدد بعضها بناء على قرارات عسكرية تحت غطاء المحاكم ومظلتها.

فهذه العينة من أخبار استباحة القدس والمسجد الأقصى المبارك تدل أو تشير بوضوح إلى ما تتعرض له القدس، وأهلها وقاصدوها بالزيارة والعمل، ومقدساتها وبخاصة مسجدها الأقصى المبارك من اعتداءات ومضايقات، فالأمر واضح كالشمس في رابعة النهار، وما كان يخطط له في السر والخفاء، بات اليوم مكشوفاً، فالأهداف معلنة، والغايات واضحة، والتنفيذ يتم جهاراً نهاراً، دون وجل ولا خجل، والظروف برمتها الصحية والسياسية والإقليمية والعالمية والاقتصادية، يستغلها الطامعون بالقدس ومقدساتها وبخاصة مسجدها الأقصى المبارك، لتحقيق أحلامهم، وتطلعات آبائهم وأجدادهم.

آثار استباحة القدس والمسجد الأقصى المبارك على العرب والمسلمين

السؤال المطروح بإلحاح: ما الأثر الناتج عن العلم بأخبار أنين المسجد الأقصى المبارك من جرائم الاستباحة والتدنيس والانتهاك؟

الإجابة الحاضرة بقوة عن هذا السؤال تلخصها وتعبر عنها مواقف الخذلان، التي يظهرها أصحابها من أبناء الجلدة، سواء منهم من نفى عن المسجد الأقصى المبارك ميزاته التاريخية والدينية العريقة، في محاولة للتهوين من فظاعة ما يجري للمسجد الأقصى المبارك من انتهاكات وجرائم، وتسويغ تقديمه قرباناً لمغتصبيه، ومواقف النشاز ومقولات الزيغ، تتحدث عن نفسها وتتناقلها وسائل الإعلام المختلفة، وتبثها للناس في حلهم وترحالهم، ويصدق في كثير من أصحاب تلك المواقف والمقولات قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إذا لم تستحيِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ) (*)

* صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحيِ فاصنع ما شئت.

الصـورة المظلمـة المزعجـة، لمواقـف المتخاذلـين مـن أبنـاء الأمـة، تقابلهـا بـكل فخـر واعـتزاز مواقـف المرابطـين، حمـاة القـدس وأقصاهـا، الذيـن انـبروا لذلـك الـشرف بصدورهـم العاريـة، سـوى مـن يقـين صلـب بحقهـم الثابـت بهـذا الوطـن ومقدسـاته، وعـلى رأسـها المسـجد الأقـصى المبـارك، بخصائصـه في عقيدتهـم وتاريخهـم ووجدانهـم، وقـد أثبتـت هـذه الشريحـة بمـن مَثلهـا مـن علمـاء ورجـال ونسـاء، شـيباً وشـباناً، حقيقـة صدقهـا عـلى أرض الواقـع، وفي مواقـف البطولـة، والإصرار عـلى التمسـك بالثوابـت الدينيـة والوطنيـة، الـتي منهـا حفـظ مقدسـات الأمـة، والوفـاء للشـهداء الذيـن قدمـوا أرواحهـم الزكيـة فـداء لهـا.

جريمة التقاعس عن نصرة المسجد الأقصى المبارك

المسـجد الأقـصى المبـارك، مـسرى خاتـم النبيـين والمرسـلين محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قبلـة صـلاة المسـلمين الأولى، يواجـه مصـيراً صعبـاً، بالتخطيـط الماكـر، والانتهـاكات المتصاعـدة، ومـن منكـرات مواقـف بعـض العـرب والمسـلمين حيـال ذلـك المواقـف المتغاضيـة عمـا يجـري لهـذا المسـجد العظيـم في تاريـخ الإسـلام ودينهـم وواقعهـم وصراعهـم مـع أعدائهـم، ومـن المواقـف المشـابهة لهـذا التخـاذل تلـك الـتي أشـار إليهـا القـرآن الكريـم حـين ذكـر جانبـاً مـن قصـة مـوسى، عليـه السـلام، وهـو يواجـه معسـكر الباطـل وعنـاصره، فقـد تخـلى عنـه المتخاذلـون، وآثـروا سـلامة القعـود عـلى القيـام بواجـب مناصرتـه ومعاضدتـه، وعـن هـذا يقـول جـل شـأنه: {قَالُـواْ يَـا مُـوسَى إِنَّـا لَـن نَّدْخُلَهَـا أَبَـداً مَّـا دَامُـواْ فِيهَـا فَاذْهَـبْ أَنـتَ وَرَبُّـكَ فَقَاتِـلا إِنَّـا هَاهُنَـا قَاعِـدُونَ} (المائـدة:24)

يقول السعدي: فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم به لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة فيه إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم.[1]

وقد التمس مسلمو الرعيل الأول من موقف بني إسرائيل هذا درساً في العزم والبسالة ونبذ الخذلان، فعن عبد الله، قال: (قَالَ المِقْدَادُ يَوْمَ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ} وَلَكِنِ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ، «فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).[2]

فقضايا الحق يلزمها منافحين عنها أمام جند الباطل ومعسكره، وقد فضل الله مناصري الحق على القاعدين عن ذلك، فقال جل شأنه: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:95)

فالواجب يقتضي نصرة المظلومين والمستضعفين، فكيف إذا كان المعتدى عليه ظلماً هو قبلة المسلمين الأولى، والمسجد الذي اختاره الله مسرى لنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، من بيته الحرام في مكة المكرمة؟ جزماً فإن التبكيت يزداد ضراوة للمتخاذلين عن نصرته والذود عنه، والله عز وجل ينكر التقاعس عن نصرة المظلومين، فقال جل شأنه:{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن

1. تفسير السعدي: 1/ 228.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المائدة، باب قوله: { فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ} (المائدة:24)

لَّدُنكَ نَصِيراً} (النساء75)، والتراخي عن نصرة المسجد الأقصى المبارك في محنته العصيبة التي يتعرض لها، جريمة نكراء، وبخاصة أن الجرائم ضده تقع على مرأى أهله ومسمعهم، ممن تجب عليهم نصرته.

حقارة المتاجرة بالدين والمقدسات.

محاولات تبرير التخاذل عن نصرة المسجد الأقصى الأسير لن تفلح في قلب الموازين وتزييف الحقيقة، فالفرق والتباين لا يكون بين القاعد والعامل فحسب، وإنما البون شاسع كذلك بين المحسن والمسيء، ومن تجليات العدالة الربانية مجازاة المحسن بالإحسان، ومحاسبة المسيء على ما اقترفت يداه، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذه التجليات كثيرة، منها قوله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (فصلت:46) وقال سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (الجاثية:15) ، فالحقيقة المرساة في الآيتين واحدة، تتلخص في حصد المحسن والمسيء لنفسيهما بما قدما من إحسان أو إساءة، لكن الآية الأولى ختمت بنفي الظلم عن رب العالمين، وصلة ذلك بالآية واضحة، أما الآية الثانية من سورة الجاثية فذّكرت في خاتمتها بالرجعة الحتمية لله للمحاسبة والجزاء، وصلة ذلك بالآية واضحة أيضاً، فالجزاء على الإحسان والإساءة يكون في ذاك اليوم الذي تتم فيه المحاسبة، ويتم فيه الجزاء، ومن الآيات القرآنية التي وصفت هذه المجريات يوم القيامة، تلك المتضمنة في سورتي الزلزلة والقارعة، حيث يقول جل شأنه في سورة الزلزلة: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ *

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة:6 - 8) وفي سورة القارعة يقول عز وجل: {الْقَارِعَةُ* مَا الْقَارِعَةُ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ* فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ* نَارٌ حَامِيَةٌ} (سورة القارعة)

والبشر ليس من صلاحياتهم التدخل في المجازاة الربانية، ولكن حديثهم عنها ينحصر في نطاق ما علموه من سننها المفصلة في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه الأمين، صلى الله عليه وسلم، والمنهزمون يحاولون ستر عيوبهم وزيغهم عن الجادة بالخداع الذي قال عنه سبحانه: {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ} (البقرة:9)

فالمتاجرة الرخيصة بالدين ومقدساته، والأوطان وثرواتها، لن تكون في يوم من الأيام إلا ضلالاً وفسقاً وسوء سبيل، مهما حاول المروجون لها أن يظهروها بثياب الذكاء ومهارات الإبداع وعظمة في الإنجاز، فهي انحطاط جدير بالإنكار لا بالتباهي والاعتزاز، وهي خيبة جديرة بالندم والمعالجة القويمة، ودون ذلك يعني التماهي في الغي، والإصرار على الخطايا.

المسرى أمانة في أعناق خاصة المسلمين وعامتهم فينبغي ألا يضيعوه

الأمانة حملها الإنسان، وأبت حملها السماوات والأرض والجبال، وأمر الله بحفظها، ونهى عن تضييعها، وأثنى سبحانه على المؤمنين لحفظها، فقال عز وجل في وصفهم: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون:8 والمعارج:32) يقول صاحب أضواء البيان: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس، أنهم راعون

لأماناتهم وعهدهم؛ أي محافظون على الأمانات والعهود، والأمانة تشمل كل ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس.

والعهود أيضاً، تشمل كل ما أخذ عليك العهد بحفظه من حقوق الله وحقوق الناس، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من حفظ الأمانات والعهود جاء مبيناً في آيات كثيرة.[1]

يقول القرطبي: الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس، والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه، والقيام به، والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة، فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد.[2]

وكل إنسان في موقع مسؤوليته مؤتمن وراع، ومأمور بحفظ ما استرعاه الله من الأمانات، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[3]، والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه، فهو مطلوب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه.[4]

1. أضواء البيان:5/ 319.
2. تفسير القرطبي:12/ 107.
3. صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه.
4. تحفة الأحوذي: 5/ 294.

فهل حفظ المسلمون المسجد الأقصى المبارك الذي استرعاهم الله إياه؟! كونه مسرى نبيهم، صلى الله عليه وسلم، وقبلتهم الأولى، وثالث أعظم مساجد الإسلام، التي حصر تشريع شد الرحال فيها، أم أنهم ضيعوا الأمانة التي استرعاهم الله إياها، فسكتوا عن سلبها وتدنيسها، وبعضهم يشارك في التفريط بها جهاراً نهاراً، والله جل في علاه نهى عن خيانة الأمانة، وحذر من التفريط فيها، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال:27)

أما الذين صدقوا العهد مع الله، فلم ولن يضيعوا المسجد الأقصى المبارك، وسيبقون على العهد في حفظه، والذود عنه، وشد الرحال إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولم ولن يقبلوا لأنفسهم يوماً أن يكونوا مع المفرطين، ولا المثبطين، ولا المتخاذلين، ولا مع المساومين على قدسهم وأقصاهم، وثرى أوطانهم المجبول بدماء شهدائهم، راجين أن يكونوا بذلك ممن قال فيهم عز وجل: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} (الأحزاب:23)

حمى الله القدس ومقدساتها، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، من عبث العابثين، وظلم الجائرين، وطمع الغاصبين، ويسر لها تحريراً عاجلاً غير آجل، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى؟!

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

سؤال من رب البرية لكل فرد من المخلوقين، المحظوظين بنعمه سبحانه وآلائه: {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى} {النجم:55} وفي التفسير أن هذه مخاطبة للإنسان على الإطلاق، معناه بأي نعم ربك تشك؟[1]، ويؤكد هذا المعنى الرازي في تفسيره، فيقول: والخطاب عام، كأنه يقول: بأي النعم أيها السامع تشك أو تجادل؟[2]

{فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؟!

سؤال إنكاري آخر من الله لخلقه، على نسق الذي جاء في الآية القرآنية أعلاه من سورة النجم، طرح في سورة الرحمن، حيث قال تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} وقد تكرر ذكر هذه الآية الكريمة في عروس القرآن وحدها، ذات الثماني والسبعين آية، في إحدى وثلاثين آية منها، فشكلت ما يقارب 40٪ من آياتها، وذلك في الآيات الآتية: 13و16و18 و21، و23، و25، و28 و30 و32 و34 و36 و38 و40 و42 و45 و47 و49 و51 و53 و55 و57 و59 و61 و63 و65 و67 و69 و71 و73 و75 و77.

جاء في التسهيل لعلوم التنزيل، أن الآلاء هي النعم، والخطاب للثقلين الإنس والجن، بدليل قوله تعالى: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ} (الرحمن:31) وكرر هذه الآية تأكيداً ومبالغة، وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله، فليس بتأكيد. [3]

1. التسهيل لعلوم التنزيل: 4/ 79.
2. التفسير الكبير: 29/ 23.
3. التسهيل لعلوم التنزيل: 4/ 83 - 84.

وفي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جاء أنه تكرر ذكرها، تأكيداً أو تنبيهاً للنفوس، وتحريكاً لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب الله في مواضع، وفي حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي كلام العرب، وذهب قوم منهم إلى أن هذا التكرار إنما هو لما اختلفت النعم المذكورة، كرر التوقيف مع كل واحدة منها، وهذا حسن. [1]

وجاء في تفسير أبي السعود، أن الفاء في {فبأي} لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء، وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية، والتربية، مع الإضافة إلى ضميرهم، لتأكيد النكير، وتشديد التوبيخ.

ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها، إما بإنكار كونها نعمة في نفسها، وإما بإنكار كونها من الله تعالى، مع الاعتراف بكونها نعمة في نفسها، فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة، من دواعي إشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب؛ لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر، شهادة منها بذلك، فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة؛ أي: فإذا كان الأمر كما فصل، فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان؟ مع أن كلاً منها ناطق بالحق، شاهد بالصدق، {فبأي آلاء ربكما تكذبان}مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم. [2]

الأمر بذكر الآلاء وشكرها

جاء التذكير بآلاء الله في سورتي النجم والرحمن، باستخدام أسلوب التساؤل، أو الاستفهام التذكيري، أو التوبيخي لمنكري النعم، أما في سورة الأعراف، فجاء ذكرها بصيغة الأمر، وذلك في آيتين منها، فقال تعالى: {فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الأعراف69) وقال تعالى: {فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (الأعراف74)

1. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 226.
2. تفسير أبي السعود: 8/ 178 - 179.

وطلب ذكر آلاء الله في هاتين الآيتين، يعني قد ذكرت لكم بعض أقسام ما آتاكم الله من النعم، وذكر الكل طويل، فاذكروا أنتم بعقولكم ما فيها[1].

وفي تفسير البحر المحيط، أن الله ذكّرهم أولاً بإنعامه عليهم، حيث جعلهم خلفاء، وزادهم بسطة، وذكرهم ثانياً بنعمه عليهم مطلقاً، لا بتقييد زمان الجعل، {واذكروا} الظاهر أنه من الذكر، وهو أن لا يتناسوا نعمه، بل تكون نعمه على ذكر منكم، رجاء أن تفلحوا، وتعليق رجاء الفلاح على مجرّد الذّكر لا يظهر، فيحتاج إلى تقدير محذوف، يترتب عليه رجاء الفلاح، وتقديره، والله أعلم: فاذكروا آلاء الله وإفراده بالعبادة، ألا ترى إلى قوله: {أجئتنا لنعبد الله وحده} وفي ذكرهم آلاء الله، ذكر المنعم عليهم، المستحقّ لإفراده بالعبادة، ونبذه ما سواه، وقيل (اذكروا) هنا بمعنى اشكروا.[2]

مفاصل رئيسة لآلاء الله على عباده

نِعم الله على الإنسان الكثيرة والمنوعة، لا تعد ولا تحصى، مصداقاً لقوله سبحانه عنها:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...} (النحل18) وقال تعالى:{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم34)، فكيف لعاقل من الناس أن ينكر نِعم الله أو يشك فيها؟! فمفاصل آلاء الله موجودة في بنية الإنسان وحوله، وفي حياته ومماته وآخرته، ولأنها لا تعد ولا تحصى، فحصرها في حديث ومقال محال، وإنما المراد تذكير بجوانب من مفاصلها الرئيسة؛ للحث على ذكرها وشكرها، ومن تلك الجوانب ما يأتي:

خلق الإنسان:

قدر الله أن ييسر الوجود البشري، ببساطة وسهولة ويسر، فمن جماع بين زوجين، أحدهما ذكر والأخرى أنثى، يجدان فيه متعة مرغوبة لديهما فطرياً وغرائزياً، فيقضيان به حاجة ملحة لديهما، وإذا شاء الله والتقى إفراز الرجل مع إفراز المرأة الخاصين لنشأة الأجنة،

1. التفسير الكبير: 14/ 133
2. تفسير البحر المحيط: 4/ 328.

يبدأ مسار وجود إنسان آخر بالحركة والمسير، وبعد حمل يمتد عادة بضعة أشهر، يولد مخلوق إنساني جديد، يرفد الوجود البشري بدعامة لاستمرار بقائه، وهذا المولود يخرج بصورة مختلفة تماماً عن شكل إفرازات الزوجين، التي وصفها القرآن الكريم بماء مهين، والجزء المفرز الذي كتب له النجاح للتلقيح، لا يرى إلا بالمجاهر الدقيقة، ومن ثم يخرج الجنين المتكون مزوداً بأجهزة منظمة، للسمع والبصر والمشي والقبض، عدا عن المكونات الداخلية المتكاملة، والحواس الخاصة، وتمر الأيام والسنون، وإذا بهذا المخلوق له صورة وإرادة وحركة ودور ريادي، آخر يساهم به في تواصل عملية الوجود البشري، وهكذا دواليك، وقد عني القرآن الكريم بالتنبيه ولفت الأنظار وجذب العقول للتفكير في آيات خلق الإنسان، والآيات العظيمة في أجهزته البدنية المصممة بدقة متناهية، وأي خلل في أي منها يحدث مشكلة خلقية، إضافة إلى الناحية الجمالية، التي أضفاها الله على الإنسان بجنسيه الذكر والأنثى، وبصورة تجذب كل جنس منهما للآخر، بصورة فطرية عفوية، يعجز الإنسان عن تعطيلها في الوضع الطبيعي، أو التشويش عليها، ومن الآيات القرآنية ذات الصلة، قوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} (السجدة:7 - 9)، {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل:78)

{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ*وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ*وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد:8 - 10)

والله خلق الإنسان في أحسن تقويم، فقال سبحانه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:4) وذكر الله الإنسان بأنه خلقه فسواه فعدله، فقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ} (الانفطار:6 - 8)

والتساؤل الإنكاري هنا: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} يتقاطع مع التساؤلين سابقي الذكر: {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى}؟! و{فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؟!

فالله خلق الإنسان فجعله سوياً، سالم الأعضاء، فصيره معتدلاً، متناسب الخلق، من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، وجعله معتدل الخلق، يمشي قائماً، لا كالبهائم، وخلقه خلقة حسنة، مفارقة لسائر الخلق، أو فعدله إلى بعض الأشكال والهيئات، و(مَّا) في {مَّا شَآء}مزيدة، أي ركبك في أيّ صورة اقتضتها مشيئته وحكمته، من الصور المختلفة في الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب، وخلاف الشبه.[1] ومع هذه الآلاء كلها عجب لأمر الإنسان كيف يُخدع بالباطل؟! فينكرها ويكفر بربه أو يعصيه.

والمراد بـ{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}؟! أي ما الذي خدعك وسول لك الباطل؟! حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات، والمعنى ما الذي أمنك من عقابه؟ مع أنه غير مأمون، هذا إذا حمل الخطاب في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}على جميع العصاة، وأما إذا حمل على الكافر، فالمعنى ما الذي دعاك إلى الكفر والجحد بالرسل، وإنكار الحشر والنشر؟![2]

فهل مع هذه الآلاء العظيمة الظاهرة البينة في خلق الإنسان، يبقى مبرر له ليتمارى في آلاء الله، أو يوجد له عذر في تكذيبها؟!

الهداية للحق والإيمان:

وجوه النِعم المستوحاة من معين الهداية للإيمان كثيرة، يلمسها المهتدون في حياتهم الدنيا ويعيشونها، وفي الآخرة يعتزون بها ويفتخرون وينعمون، وعن هذا يُحدث القرآن الكريم، فيقول تعالى: {...قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (المائدة: 15 - 16)

ويقول عز وجل:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأعراف:43)

1. الكشاف: 4/ 716.
2. التفسير الكبير : 31/ 73.

ولجليل نعمة الهداية على المهتدين، مَن الله عليهم بها، فقال عز وجل: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(الحجرات:17)

فالهداية مؤداها أن يستقر أهلها في جنات تجري من تحتها الأنهار، ويلخص الحديث القدسي آلاء الله المتجلية في هذا المصير، كما جاء في الحديث الصحيح، عن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، فاقرؤوا إن شِئْتُمْ: {فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ}) (*)

تسخير موجودات الكون لمصالح الإنسان ومنافعه:

من آلاء الله الواسعة على الإنسان، أن سخر له موجودات الكون، ما في سمائه وأرضه، من نبات وحيوان وبحار وأنهار وجبال وسهول ووديان، وما إلى ذلك، ومن الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا التسخير، قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} (لقمان:20)

ويقول عز وجل: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} (إبراهيم:33)

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل:12) والآيات القرآنية الدالة على هذا التسخير كثيرة، ومادام الأمر كذلك، فكيف للإنسان أن يتمارى في هذه النِعم، أو يكذبها، وهو ينتفع من خيرات الأرض والسماوات وما فيهن، في مجالات شتى.

صحة العقول والأبدان:

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، يراه أكثر ويتمعن به بشكل أعمق المرضى، الذين يعانون من فقد هذه النعمة، أو من عور فيها، وكثيراً ما يغفل الأصحاء عن التأمل بهذه النعمة، ولا يبادرون إلى شكر الله عليها، فالصحة نعمة يتفضل الله بها على خلقه، لتستقيم حياتهم، ويشعروا بمتعة الحياة معها، وبغيرها يفقد المرء اللذات، ويقع في خلل المذاق، كما

* صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

قال الشعراء، من أمثال المتنبي:

ومنْ يَكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجد مُراً بهِ الماء الزُلالا

وكما قال البوصيري:

قد تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفمُ طعمَ الماءِ مِنْ سَقمِ

فليس غريباً أن تعد الصحة من نِعم الله الجليلة التي تفضل بها على الإنسان، فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) [1]

والمراد بالصحة هنا سلامة البدن والنفس والعقل، فالله تعالى يقول: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} (الأنفال:22) فذكر في الآية الكريمة العقل وحواس بدنية.

ونعى الله على الذين يعطلون النِعم البدنية والعقلية التي أنعم بها عليهم، أو يسيئون استخدامها، فقال عز وجل: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف:179)

وإلى جانب أن الصحة نعمة، فإن الإنسان قد يبتلى بالمرض، ومن نعم الله عليه أن ييسر له الشفاء، مصداقاً لقوله تعالى المنسوب إلى إبراهيم، عليه السلام:{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (الشعراء:80)

فمن نعم الله على المرضى أنه سبحانه أنزل لكل داء دواء، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، لما ذكر الحمى حث على إبرادها بالماء، حيث قال:(الْحُمَّى من فَوْرِ جنهم، فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ)[2]، فالحمى حرارة، ومن وسائل خفضها الماء، والرسول، صلى الله عليه وسلم، بين أن الله أنزل الداء والدواء، فقال:(ما أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إلا أَنْزَلَ له شِفَاءً)[3]، وقال:(لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فإذا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عز وجل)[4].

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة.
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
3. صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.
4. صحيح مسلم، كتاب التداوي، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

ومع الحث على التداوي يبقى الأمل والتطلع إلى الشفاء مرهوناً بقدر الله وتيسيره، فهذا أيوب، عليه السلام، يدعو الله أن يكشف عنه الضر، حسب ما قال سبحانه عنه:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}(الأنبياء:83)

وعن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عَادَ رَجُلًا من الْمُسْلِمِينَ قد خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فقال له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (هل كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أو تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ قال: نعم، كنت أَقُولُ: اللهم ما كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ في الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لي في الدُّنْيَا، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا تُطِيقُهُ أو لَا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلَا قُلْتَ: اللهم آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قال: فَدَعَا اللَّهَ له فَشَفَاهُ) [1]

فإلى جانب نعمة الصحة والعافية، فإن الله جل في علاه يتفضل على الذي يبتلى بمرض، باحتساب الأجر له، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ، ولا أَذًى ولا غَمٍّ، حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كَفَّرَ الله بها من خَطَايَاهُ) [2]، وفي رواية لمسلم عنهما: (ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ، ولا سَقَمٍ ولا حَزَنٍ، حتى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إلا كُفِّرَ بِهِ من سَيِّئَاتِهِ) [3]

وبشر الله الصابرين على الابتلاء الذين يصيبهم في أنفسهم، فقال عز وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوف وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة: 155)

وعلّم الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسلمين أن يسألوا الله العافية، فقال: (لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ) [4]، والعافية من الألفاظ العامة المتناولة لدفع المكروهات جميعها في البدن والباطن، في الدين والدنيا والآخرة. [5]

1. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة و الإستغفار، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.
2. صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض.
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها.
4. صحيح البخاري، كتاب التمني، باب كراهية تمني لقاء العدو.
5. صحيح مسلم بشرح النووي: 12/ 46.

حتى إن المرض يكون نعمة من ناحية ما يترتب عليه من جزاء الصابرين عليه، فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، (أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، دخل على أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، -قال: وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا دخل على مَرِيضٍ يَعُودُهُ، قال: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إن شَاءَ الله - فقال له: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إن شَاءَ الله، قال: قلت طَهُورٌ؟! كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ- أو تَثُورُ- على شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: فَنَعَمْ إِذًا) (*)

وقد حكي عن شخص شكا ضيق حاله ومعاشه... فقال له عالم حكيم: أتبيع بصرك بمئة ألف؟ قال: لا. قال الحكيم: أتبيع سمعك بمئة ألف؟ قال: لا. قال الحكيم: فأنت الغني بما لا يباع بثمن.

فكيف للإنسان مع جزيل هذه الآلاء أن يتمارى، أو يكذب ويجحد؟!!

المال والبنون:

من نِعم الله وآلائه على الإنسان أن متعه بالمال والبنين، وجعلهما زينة له في الحياة الدنيا، وقد قال عز وجل: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} (الكهف:46)

فالله خلق الإنسان شغوفاً للمال والبنين، يعشقهما، ويسعى إلى تحصيلهما، ويذود عنهما بالغالي والنفيس، ويعتوره نقص كبير عند فقدهما، أو حرمانه منهما، أو من أحدهما.

حتى إن الإنسان المتبجح يتباهى بهما، فعنه يقول تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً} (مريم:77) ويقول عز وجل: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} (سبأ: 35) ويقول سبحانه:{كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (التوبة:69)

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

نعم الله يتفضل بها على من يشاء ويمنعها عمن يشاء:

لم ينحصر التذكير بآلاء الله بلفت الأنظار إليها، وشد الانتباه، وإنما جرى التأكيد القرآني الصريح على أنها في مختلف أصنافها وأشكالها، من الله، وذلك في العديد من آياته الكريمة، التي منها قوله تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (النحل:53) وقوله عز وجل:{وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (المائدة:7) ومن الآيات التي نصت على هذا المعنى، 171 و174 من آل عمران، و20 من المائدة، و6 من إبراهيم، و22 من الشعراء.

حتى على الصعيد المجتمعي، فإن لله فضلاً ونعمةً على عباده بتحقيق التآلف بينهم، مصداقاً لقوله جل شأنه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَت بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (الأنفال:63)

وقد استعرض إبراهيم، عليه السلام، عدداً بارزاً من آلاء الله على خلقه، وهو يحاجج قومه ليؤمنوا برب العالمين، فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ*أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ*الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ*وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ*وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}(الشعراء:69 - 82)

شكر الله على آلائه:

الموقف الصحي والمنطقي يقتضي أن تلهج ألسنة المنعمين بشكر المَنْعِم، وأن يستقر في قلوبهم إيمان بفضله سبحانه عليهم، وأن يترجم المتنعمون استشعارهم بفضل المُنْعِم سبحانه إلى أعمال شاكرة، تبديها جوارحهم في صلاتهم وصدقاتهم وحسن سلوكهم وعلاقاتهم

مع الخلق، وقد أمر سبحانه بشكره، فقال عز وجل:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (البقرة:152) وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (البقرة:172)

ومن الآيات المتضمنة مثل هذا الأمر: 211 من البقرة، و71و114 و121من سورة النحل، و17 من العنكبوت، و15 من سبأ، و7 من إبراهيم، و9 من الأحزاب، و57 من الصافات، و13 من الزخرف، و27 من الدخان، و8 من الحجرات، و2 و49 من القلم، و11 من الضحى.

وكان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يحرص على شكر الله على آلائه في أقواله وأعماله، فعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، (كان يَقُومُ من اللَّيْلِ حتى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقالت عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسُولَ اللَّهِ، وقد غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟! قال: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟!! فلما كَثُرَ لَحْمُهُ صلى جَالِسًا، فإذا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قام، فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ) [1]، وعن أَنَسٍ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، كان إذا آوى إلى فِرَاشِهِ، قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ له، ولا مُؤْوِيَ؟!)[2]

جحد النعم والآلاء

النكران صفة ذميمة، يتصف بها الجاحدون، يأكلون من الخيرات ويشربون، ويروحون ويجيئون ويتفسحون، ويولدون ضعفاء، ثم يصبحون أقوياء، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ، يتمارون بآلاء الله، ويكذبون، ويخدعون بربهم الكريم، وقد أخبر القرآن الكريم عن بعض صنيعهم على درب نكران نعم الله وجحدها، فقال عز وجل: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} (المدثر:11 - 17)

---

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، باب (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...)
2. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والإستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

فالكيس من تقرب إلى الله في الرخاء، لينزل عليه الرحمات في الشدة، بخلاف الذين يدعون الله ويتوسلون إليه في المحن والمصاعب، ويكفرون به في الرخاء والاسترخاء، كما قال سبحانه عن أصنافهم: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر:8)

وقال تعالى:{فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الزمر:49)

تحذير ... تحذير... النعم قد تنقلب إلى نقم

جحد نِعم الله وكفرها، يقوم به صنف من الناس كثير، ومن الأمثلة التي ضربها القرآن الكريم لجاحدي النعم الربانية، قارون، الذي وضع الله بين يديه الأموال، فصار مثلاً بالغنى المادي، لكنه تبجح ونسي فضل الله عليه، وظن أن ما لديه تحصل بمهارته وجده واجتهاده، وكفر بالله، فقال تعالى عنه: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ* قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} (القصص:76 - 80) وفي المحصلة خسفه الله وجعله عبرة لمن يعتبر، {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (القصص:81 - 82)

وفرعون آتاه الله الملك والجبروت فطغى واستكبر، ووصلت به البجاحة أن زعم أنه إله قومه، فقال تعالى مخبراً عن ذلك: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (القصص: 38) وفي المحصلة خسفه الله وجعله عبرة لمن يعتبر.

فكم من صاحب نعمة، انقلبت عليه نقمة، لأنه تعالى وتآلى واستكبر، وظن النعمة تدوم، والعمر يطول، فأخذها الله عنه، أو أخذه عنها، أخذ عزيز مقتدر، وفق سنته التي تعلو ولا يعلى عليها، حيث يقول جل شأنه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} (إبراهيم:28) فهي سنة محكمة عادلة، أخبر سبحانه عن بعض تفاصيلها، فقال عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأنفال:53)

ومن الأمثلة التي ضربها الله في قرآنه الكريم لصنف الجاحدين من الخلق، إضافة إلى فرعون وقارون، صاحب الجنتين، الذي أخبر الله عن بجاحته ومصيره في سورة الكهف، فقال عز وجل: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً* لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً* وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً* فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً* أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً} (الكهف: 32 - 42)

وأصحاب الجنة، الذين أخبر الله عنهم في سورة القلم، فقال سبحانه: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَثْنُونَ* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ* فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ* فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ* أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ* فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ*أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ* وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ* فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ* قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ* فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ* عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ* كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (القلم:17 - 33)

والذي كفر بآيات الله، وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً، فتوعده الله أن يمد له من العذاب مداً، فقال تعالى عنه: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً* وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً} (مريم: 77 - 80)

والقائمة تطول بالمتبجحين الجاحدين الذين انقلبت نعمهم نقماً عليهم، بما كسبت أيديهم، وبنكرانهم الآلاء، والكفر بالخالق العلي العظيم، ذي القوة المتين، وما هذه سوى أمثلة لهذا الصنف، سيقت للتذكير والاعتبار، عسى أن تكون بها عبرة لمن كان له قلب بصير، وحس مرهف.

هدانا الله لنكون من خير شاكريه، وصرف عنا جحود نعمه، واستحقاق نقمه، وتغمدنا بواسع رحمته، لنفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، تجري من تحتها الأنهار، وما ذلك على الله بعزيز.

فلسطينُ المباركة تفتح أبوابها لمعراج سيّدِ المرسلين

الشيخ عمار توفيق بدوي

مفتي محافظة طولكرم

فلسطينُ هي الأرض المباركة التي علا شأنُها في معارج الفخار، وذاع صيتُها في مدارجِ العِزِّ والافتخار، وهامت بها قلوبُ المحبين، وتلهفت للقاها أفئدةُ العاشقين، وتاقت عيونُهم لأنْ تكتحل بمشاهدها الرائعة، ومعالمها الخالدة، في فسيحِ سهولها، وقِمم جبالها، وعذْبِ مائها، وخضراء جنباتها، وبركات أكنافها .

والبركة صفة لازمة لفلسطين، وسِحْرٌ يتغلغلُ في ذرات ترابها، ونسمات هوائها، تقترن البركة باسمها صيفاً وشتاءً، ربيعاً وخريفاً، ثبتتْ في أعظم كتاب، ولا ينافسُ في الثبوت، ولا يجارى في البيان؛ إنه القرآن الكريم، الكتاب الخالد. وهذه البركة من الله تعالى الخالق الوهاب. وهبها إياها تكرمة من خزائن عطائه الذي لا يُحصى، وكرمه الذي لا يُستقصى. فلو دارت الأقلامُ في فلَكِ أسرارِ بركَتِها، لما عَلَقَ بها إلا ما رشحَ من جلائلِ نعمائها.

وفلسطين أرض مباركة تفيض بركتها من عيون الأرض، مدرارة العطاء، "فالبركةُ ثبوتُ الخير الإلهي في الشيء"[1]. ومادة بركة "موضوعة لِلزوم والثبوت"[2]، "ولما كان الخيرُ الإلهي يصدر من حيث لا يُحسّ، وعلى وجه لا يحصى، ولا يحصر؛ قيل: لكلِّ ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة"[3].

1. الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54.
2. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب مج. 6، العزيز. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: دار الكتب العلمية. 3/ 209. لم يذكر الطبعة ولا التاريخ.
3. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. 3/ 210.

ومهما حاول المفسّرون رصَّ المعاني في شرح معنى برَكة الأرض؛ فلن يحصوها عدداً؛ فهي أمرٌ لطيفٌ أودعه الله في هذه الأرض، وهي حكمةٌ ربّانية.

ومن المناسب أن أذكر بعض ما ظهر من هذه البركة الربانية، ففي تفسير "الذي باركنا حوله": "الذي باركنا حوله ببركات الدين، والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[1]. وهو "الذي جعلْنا حوله البركة، لسكّانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم"[2]. و"إذا بورك حوله؛ فالبركة فيه مضاعفة؛ ولأنّ الله تعالى لمّا أراد أن يعرج بنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى سمائه؛ جعل طريقه عليه تبييناً لفضله؛ وليجعل له فضل البيتين، وشرفهما"[3]. والبركة في الآية لها وجهان: "(الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ) قِيلَ: بِالثِّمَارِ وَبِمَجَارِي الْأَنْهَارِ. وَقِيلَ: بِمَنْ دُفِنَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ"[4].

والمسجد الأقصى المبارك، محلّ تنزل البركات، وينبوع الخيرات، فهو ثاني مسجد بُني على الأرض للعابدين، فعن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، قال: (سألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن أول مسجد وُضِع في الأرض قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً)[5]. وهذا شرف عظيم لهذه البقعة الطاهرة التي اختارها الله جل جلاله لتكون بيتاً لذكره، وبيوت الله تعالى هي أشرف البقاع.

ابتهجت القدس، وأشرق وجهها الوضاء، حينما شرفت بسيد الأنبياء والمرسلين محمد، صلى الله عليه وسلم؛ يعطِّر ثراها الطهور، ويترك بصمة قدميه على قمة جبلها، وطودها الأشم، لبست القدس لباس الحفل، والابتهاج، لهذا النبي الهاشمي العربي، يتأهب من ظلال الكعبة المشرفة في سكنة الليل، ليسري إلى القدس، والمسجد الأقصى المبارك.

1. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. 4/ 431. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. 2/ 278. بلا طبعة ولا تاريخ.
2. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 22/9.
3. السيوطي: إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى. 1/ 95.
4. تفسير القرطبي. 10/ 212.
5. صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث520. ج1ص370.

لـم تكـن القـدس معراجـاً لسـيِّد الأنبيـاء لـولا حِكـمٌ رزينـة فاضـت مـن المسـجد الأقـصى المبـارك، فهـي بلـد الإكـرام والتكريـم، والحفـاوة بالصالحـين، والحاضنـة للأنبيـاء والمرسـلين، كيـف لا وقـد حظيـت بتكريـم الخالـق جـلّ في عـلاه؛ فاختـار بقعتهـا الطاهـرة دون سـائر البقـاع؛ لتحتضـن الحفـل الرسـالي المهيـب، بجمـع الأنبيـاء والمرسـلين في رحـاب المسـجد الطاهـرة يصطـف المصطفون الأخيـار، وزبـدة البشريـة الأطهـار؛ ليرحبـوا بالنـبي العـربي محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم، ثـم تقام لـه الصـلاة، فيؤمهـم النـبيّ الزائـر محمـد، صلـوات ربي وسـلامه عليـه.

ولـم يحـدث مثـل هـذا التكريـم لنـبيّ مـن قبـل، ولـم تلبـس القـدس كامـل زينتهـا لنـبيّ ولا وليّ مـن قبـل، إنـه حفـل ممـيز بالضيـف الممـيز، فأخرجـت القـدس كل زينتهـا لهـذا اليـوم الأغـر.

ومن حكمة المعراج الساطعة، أنّ القدس بوابة الأمل، فبينما أغلقت مكة أبوابها، ولّوحت بسياطها الفتّاكـة، تطـارد المؤمنـين المسـتضعفين، وتمتـد الأيـدي الآثمـة بمحاولـة النّيـل مـن الرسـول الكريم؛ رأينـا القـدس تفتـح ذراعيهـا شـوقاً، وحنانـاً، وحُبّـاً، وحفـاوة بالنـبي محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم.

ومـن حِكمـة المعـراج، أنـه معـراج البشـائر الطيبـة، والوعـود المسـتقبلية الصادقـة، فأهدى للنـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، في محنتـه أعظـم هدية، أنّ أمتـه هي أمّـة مهديـة، وإن زاغ بصر طائفة منهـا، أو أغلـق التعنـت مسـارب القبـول، وطـرق الاسـتقبال، وهـذا ظهـر في الآنيـة الـتي عُرضـت عـلى النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، (ثُـمَّ أُتِيَ بِثَلَاثَـةِ آنِيَـةٍ، إِنَـاءٌ فِيـهِ لَـبَنٌ، وَإِنَـاءٌ فِيـهِ خَمْـرٌ، وَإِنَـاءٌ فِيـهِ مَـاءٌ. فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: فَسَـمِعْتُ قَائِـلًا يَقُـولُ حِـينَ عُرِضَـتْ عَـلَيَّ: إِنْ أَخَـذَ الْمَـاءَ غَـرِقَ، وَغَرِقَـتْ أُمَّتُـهُ، وَإِنْ أَخَـذَ الْخَمْـرَ غَـوَى، وَغَـوَتْ أُمَّتُـهُ، وَإِنْ أَخَـذَ اللَّبَنَ هُـدِيَ، وَهُدِيَتْ أُمَّتُـهُ. قَالَ: فَأَخَـذْتُ إِنَـاءَ اللَّـبَنِ، فَشَرِبْـتُ مِنْـهُ، فَقَـالَ لِي جِبْرِيـلُ، عَلَيْهِ السَّـلَامُ: هُدِيتَ، وَهُدِيَـتْ أُمَّتُكَ يَـا مُحَمَّدُ[*].

وفي المعـراج حكمـةٌ أنّ الزمـن تطـوى صحائفـه، وإن طالـت المسـافة، وظـنّ المُبتـلى أنّ الليـل تمتـدّ أطـراف عباءتـه، حـتى كادت تحجُـب شـمس النهـار، ومـا أطـول الزمـن في عينيّ المبتلـين

* سيرة ابن هشام تحقيق السقا. 1/ 397.

بقهر الطاغي، وعذاب الطغيان. فجاءت رحلة الإسراء والمعراج، وهي رحلة الحقّ، في عالم الحق، لتطوي ما لا يحصى من الزمن ما بين مكة والقدس مسيرة شهر، وما بين القدس والسماوات العُلى ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ويعجز عنه تقدير البشر، هذا إن وسعه التقدير البشري؛ ليسكب الطمأنينة في قلوب المؤمنين.

ومن حكمة المعراج، أنّ القدس لا تقل أهمية عن مكة، فمن مكة انداح النور، ومن القدس استمد شحنة هائلة ارتقت برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات العُلا، ليؤوب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، إلى قريش، وقد انجلت مضانك العتاة القساة عن قلبه الطاهر، وتلاشت الكبرياء المزخرفة لعصبة الطغاة، وهو يرى آيات الله الكبير المتعال في ملكوت السماوات والأرض.

والقدس المعراج ظل صداها الرائع يتفاعل في نفس النبي، صلى الله عليه وسلم، وبشّر أهل القدس، أنه سيأتي يوم، يكونون المرابطين في عرين الأبطال، فهي عرين المرابطين إلى يوم الدين، وولادة الأسود الغُرِّ الميامين. قال صلى الله عليه وسلم، قولته الصادقة، ووعده الصدوق فيها وفي أهلها، (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)(*). فهي العرين الذي يتولد منه الفرسان الأبطال، والليوث الشجعان، في زمنٍ يعزّ الرجال فيه فهم بشارة النبي، صلى الله عليه وسلم، في أنّ الطائفة المنصورة هي التي تقهر عدوَّها، وليست التي تواليه خانعة، ولا يضرّها مخالفة المتسللين إلى خيمة الباطل، وزخرف الشيطان.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ

* مسند أحمد بن حنبل: تتمة مسند الأنصار. حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ بْنِ عَمْرٍو وَيُقَالُ: ابْنُ وَهْبٍ الْبَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: (قالوا يا رسول الله وأين هم...)

اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: صَـلَاةٌ فِي مَسْـجِدِي هَـذَا أَفْضَـلُ مِـنْ أَرْبَـعِ صَلَـوَاتٍ فِيـهِ، وَلَنِعْـمَ الْمُصَـلَّى، وَلَيُوشِـكَنَّ أَنْ لَا يَكُـونَ لِلرَّجُـلِ مِثْـلُ شَـطَنِ فَرَسِـهِ مِـنَ الْأَرْضِ، حَيْـثُ يَـرَى مِنْـهُ بَيْـتَ الْمَقْـدِسِ خَـيْرٌ لَـهُ مِـنَ الدُّنْيَـا جَمِيعًـا، أَوْ قَـالَ: خَـيْرٌ مِـنَ الدُّنْيَـا وَمَـا فِيهَـا)[*]. فـإن ضاقـت الدنيـا بحلقاتهـا، وانسـد الأفـق، فـإلى القـدس الإسراء، وإلى القـدس المعـراج، وإلى القـدس الربـاط، وإلى القـدس مهمـا كانـت الصعـاب، فـلا بُـدَّ مـن القـدس وإن طـال السـفر. وإنّ القـدس في كـر الحـوادث، وفرهـا كانـت هـي المنتـصرة، وكذلـك سـتكون. ولقـد خاطبـتُ القـدس في خضـمِّ محنتهـا، وتخـاذل النفـر الـشرود عـن امتطـاء خيلهـا، فقلـتُ في قصيـدتي "وخيلـك يـا قـدس":

خُلقتِ من الكبرياءِ عروساً ولو كنتِ وحدكِ لن تُغلبي

فالثبـات في القـدس وأكنافهـا هـي الحكمـة الجليلـة الـتي يسـتلهمها المرابطـون مـن المعـراج في زمـن الكـرب والمحـن، فـلا يتسـلل الخـور والهـوان إلى عزائـم الرجـال.

فالمعـراج يقـول حكمـتي فيكـم أنكـم الصخـرة الـتي تتسـاقط السـهام تحـت جلمودهـا الأشـمّ، فـلا يعبـأ بمكـر الماكريـن، وأن الشـدة الـتي تنهـش أجسـادكم والمعانـاة الـتي تعتلـج في صدوركـم هـي ضريبـة الربـاط في معـراج خـير الأنـام محمـد، صـلى اللـه عليـه وسـلم.

ومـا دام في المسـلمين طفـل تتلعثـم شـفتاه بآيـات الإسراء؛ فسـيكون فـارس القـدس، وإن توهـم غاشـم مسـتكبر أنّ قوتـه الغاشـمة سـتغير وجـه القـدس فهـو واهـم. وستسـحقه عجـلات القـدر تحـت قدميهـا، وسـتظل حكمـة المعـراج ثبـات وأمـل، وعراقـة وتاريـخ وحيـاة، وأمانـة في ذمـة المرابطـين إلى يـوم الديـن.

* المستدرك على الصحيحين للحاكم. وقال: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ». وقال الذهبي: صحيح. 4/ 554.

حقنا في الأقصى والقدس وفلسطين

قراءة في حادثة الإسراء ونصوص الدين

الشيخ أحمد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

في ظل الهجمة الشرسة التي تمارسها قوى الطغيان والاحتلال على القضية الفلسطينية؛ ومقدساتها ورموزها وجزئياتها في الزمان والمكان، تُسمع تصريحات شاذة وكلمات منكرة لاسم فلسطين، وموضع المسجد الأقصى المبارك، إذ يصرح بعض الإعلاميين العرب أن فلسطين لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، بخلاف " إسرائيل "، ويصرح آخر أن المسجد الأقصى لا يقع في القدس، وإنما هو في موضع بين مكة والطائف، يقال له الجِعرانة.

تصريحات منكرة مشبوهة، تتعارض مع الحق الثابت، عبر التاريخ، وتتعارض مع مسلمات متفق عليها، دون أي اختلاف لدى أبناء الأمة، وهي لا تستحق الردّ أصلاً، ولكنها كلمات نثبتها لله أولاً، ومن ثم للتاريخ والأجيال المتعاقبة، لئلا تتطلي عليها الخديعة والحيل.

قدسية المسجد الأقصى ومكانته وموضعه في بيت المقدس:

وقعت حادثة الإسراء والمعراج قبل الهجرة النبوية، واختار بعض أهل العلم أن ذلك كان ليلة السابع والعشرين من رجب في السنة العاشرة من البعثة [*]، وأثبت القرآن تلك المعجزة

* المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم: 124، دار الهلال، الطبعة: الأولى..

بقولـه: {سُـبْحَانَ الَّـذِي أَسْرَى بِعَبْـدِهِ لَيْـلًا مِـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الْأَقْـصَى الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـا إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ}(الإسراء:1) ، وقـد أسري برسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بجسـده عـلى الصحيـح، مـن المسـجد الحـرام إلى بيـت المقـدس راكبـاً عـلى الـبراق، بصحبـة جبريـل - عليـه الصـلاة والسـلام-، فـنزل هنـاك، وصـلى بالأنبيـاء إمامـاً، وربـط الـبراق بحلقـة بـاب المسـجد [1].

اتفقـت كلمـة المفسريـن عـلى أن المسـجد الأقـصى يقـع في بيـت المقـدس في فلسـطين في الشـام، قـال الواحـدي النيسـابوري: {إِلَى الْمَسْـجِدِ الْأَقْـصَى} قالـوا كلهـم: يعـني بيـت المقـدس، وقيـل لـه: الأقـصى؛ لبعـد المسـافة بينـه وبـين المسـجد الحـرام، وقولـه تعـالى: {الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ}، الأكـثرون قالـوا: باركنـا حولـه بالثمـار والأنهـار، وقيـل: بمـن جعلنـا حولـه مـن الأنبيـاء والصالحـين، وهـو قـول مجاهـد؛ قـال: لأنـه مقـر الأنبيـاء ومهبـط الملائكـة).[2]

ولقـد ورد عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، عـشرات الأحاديـث في فضـل بيـت المقـدس، وفضـل شـد الرحـال إليـه، وفضـل الصلاة في المسـجد الأقـصى، والصـلاة إليه باعتبـاره القبلـة الأولى، وفضـل صخرتـه، والسـكنى فيـه، وأنـه لا يدخلـه الدجـال، ونـزول المهـدي فيـه، وعمرانـه وإسراء النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، إليـه وفضـل مؤذنيـه، وغـير ذلـك[3] .

1. المباركفـوري: الرحيـق المختـوم: 124. ابـن القيـم، محمـد بـن أبي بكـر: زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد: 3 /30، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة: السـابعة والعـشرون، 1415هـ - 1994م.

2. أبـو الحسـن عـلي بـن أحمـد: التفسـير البسـيط: 13 /248 - 249، عمـادة البحـث العلمـي، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود، الطبعـة: الأولى، 1430هـ، وانظـر: مقاتـل بـن سـليمان: تفسـير مقاتـل: 2 /513، دار إحيـاء الـتراث، الطبعـة: الأولى، 1423هـ السـمرقندي، نـصر بـن محمـد: بحـر العلـوم: 2 /299 - 300، دار الفكـر. الثعلـبي، أحمـد بـن إبراهيـم: الكشـف والبيـان عـن تفسـير القـرآن: 16/ 181، دار التفسـير، الطبعـة: الأولى، 1436هـ - 2015م. المـاوردي، عـلي بـن محمـد: النكـت والعيـون: 3/226، طبعـة: دار الكتـب العلميـة. الخـازن، عـلي بـن محمد: لباب التأويل في معاني التنزيل: 3 /109، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ

3. جمـع المقـدسي جانبـاً مـن تلـك الأحاديـث في مؤلـف خـاص. أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عبـد الواحـد: فضائـل بيـت المقـدس، دار الفكـر، الطبعة: الأولى، 1405هـ

أما المسجد الأقصى الذي بالجِعرانة، فقد ذكره الواقدي في مغازيه، يقول: " وانتهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الجعرانة ليلة الخميس، لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ليلاً، فأحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى، وكان مصلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا كان بالجعرانة، فأما هذا المسجد الأدنى، فبناه رجل من قريش، واتخذ ذلك الحائط عنده، ولم يجز رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الوادي إلا محرماً، فلم يزل يلبي حتى استلم الركن ... "[1].

والواقدي لم يذكر سنداً، وأخباره غير موثوقة؛ لأنه متروك، قال الخطيب البغدادي: " وأما الواقدي فسوء ثناء المحدثين عليه مستفيض، وكلام أئمتهم فيه طويل عريض " [2] .

وذكر الأزرقي كلاماً قريباً من كلام الواقدي: " عن ابن جريج: فلقيت أنا محمد بن طارق، فسألته، فقال: اتفقت أنا ومجاهد بالجعرانة، فأخبرني أن «المسجد الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى مصلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ما كان بالجعرانة» قال: فأما هذا المسجد الأدنى فإنما بناه رجل من قريش "[3]، وهذه رواية مرسلة، من مراسيل مجاهد، والمرسل " لا ينتهض إلى مرتبة المتصل "[4]، هذا إذا صح إسناده حتى التابعي.

وعلى فرض صحة الرواية، فإن المقصود منها ذكر مسجد مقابل مسجد آخر في الجعرانة، ولا يفهم منه مطلقاً أنه المسجد الأقصى الذي أسري بالنبي، صلى الله عليه وسلم، إليه، ذلك المسجد المعظم ذي المكانة السامية والفضل الكبير، وأن من أراد صرف النظر إلى ذلك المسجد في الجعرانة، إما جاهل أو عامد ماكر، كما فعل بعض المستشرقين وأعداء الأمة والملّة.

1. محمد بن عمر: المغازي: 3 /958 - 959، دار الأعلمي، الطبعة: الثالثة، 1409هـ - 1989م.
2. أحمد بن علي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2 /163، طبعة مكتبة المعارف.
3. محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: 2 /207، طبعة دار الأندلس.
4. شاكر، أحمد: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير: 134، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1435هـ

ولأجل تلك المكانة العظيمة للمسجد الأقصى الذي أُسرى بالنبي، صلى الله عليه وسلم، إليه جاء عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى بيت المقدس فاتحاً سنة خمسة عشر للهجرة، وقيل سنة ستة عشر [1]، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، قد بشر بهذا الفتح، وعدّه من أشراط الساعة، فعن عوف بن مالك، قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) [2].

وعن عبيد بن آدم، قال: (سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك! فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس)[3]، فعمر ، رضي الله عنه، صلى حيث صلى النبي، صلى الله عليه وسلم، في المكان الذي وصفه لهم صبيحة الإسراء والمعراج.

وما زال المسجد الأقصى حرّاً وبيت المقدس عزيزاً بعد فتح عمر، حتى قدم إليه الفرنجة، فهبت الأمة بقيادة صلاح الدين لتحريره من رجسهم، كما هب المماليك في الدفاع عنه أمام هجمات المغول.

---

1. العليمي، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: 1 /253، مكتبة دنديس، 1420هـ - 1999م.

2. صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر: 4/ 101. ومعنى قبة: بناء مدور، وأدم: جلد مدبوغ، وموتان: موت كثير الوقوع بسبب طاعون ونحوه، وقعاص: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، لعله يشير إلى طاعون عمواس، واستفاضة المال: كثرته، وبني الأصفر: الروم، وغاية: راية. (من تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري في الموضع ذاته. دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ)

3. مسند أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: 1/ 370، قال الساعاتي في الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني: إسناده جيد: 3 /117، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده حسن: 1 /276 - 277.

الإشارة إلى فلسطين في القرآن الكريم:

ليس القرآن الكريم كتاب جغرافيا، ولا مدونة تاريخية، يذكر اسم الدول القديمة والحديثة، ولهذا فليس غريباً ألا يرد اسم فلسطين في القرآن الكريم، بل إن الدول التي ضمت أراضيها أماكن مقدسة لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، فضلاً عن غيرها.

لكن القرآن الكريم ذكر أرض فلسطين بأسماء أخرى عظيمة وصفات جليلة، كيف لا وهي أرض الإسراء والمعراج، ومهبط الوحي، والأرض المباركة وأرض المحشر والمنشر؟!

وقد سمى الله فلسطين الأرض المقدسة في كتابه، فقال تعالى في كتابه:{يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ }(المائدة: 21) .

قال العز بن عبد السلام: " {الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ } بيت المقدس أو الشام أو دمشق وفلسطين وبعض الأردن. المقدسة: المطهرة، { كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } هبة منه، ثم حرمها عليهم بعصيانهم. { وَلَا تَرْتَدُّوا }عن طاعة الله تعالى، أو عن الأرض التي أمرتم بدخولها "(*) .

ووصف القرآن أرض بيت المقدس بالبركة في غير آية، فقال تعالى: { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } (الأعراف:137)، وقال جل شأنه:{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:71)، وقال سبحانه: { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} (سبأ: 18).

* عبد العزيز بن عبد السلام: تفسير القرآن: 1 /379، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م. وانظر: الواحدي: التفسير البسيط: 7 /323.

ويتضح من بعض هذه الآيات أن الله سمّى فلسطين الشام أرضاً، وكما ورد ذلك الاسم في قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(الأنبياء: 105)، فالأرض هنا عموم الأرض، يرثها المؤمنون أو أرض فلسطين، وقال بعض المفسرين أرض الجنة.

فهذه الآيات وغيرها وردت في كتاب الله تعالى بشأن الشام عموماً، وأرض فلسطين خصوصاً، وإن لم يذكر اسم فلسطين خاصة في القرآن.

وقد ذكر القرآن اسم إسرائيل النبي، عليه الصلاة والسلام، في موضعين، وورد ذكر بني إسرائيل في واحد وأربعين موضعاً [1]، وإسرائيل هو النبي يعقوب، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }(آل عمران: 93)، وعن ابن عباس قال: (أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ،صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: اشْتَكَى عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلاَئِمُهُ إِلاَّ لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا، فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا، قَالُوا: صَدَقْتَ)[2] .

وقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}(مريم: 58)، فقوله تعالى:{وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ} يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقوله تعالى: {وَإِسْرَائِيلَ } يعني: ومن ذريته، وهم موسى وهارون [3] .

1. عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: 33، طبعة مناهل العرفان.

2. سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد: 5/ 294، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، الطبعة، الثانية، 1395هـ - 1973م. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: صحيح.

3. الواحدي: التفسير البسيط: 14 /268.

فهذا ما أراده القرآن من اسم أحد أنبياء الله تعالى الذين نؤمن بهم جميعاً ونجلّهم ونقدرهم.

إن حق شعبنا الفلسطيني المسلم في المسجد الأقصى المبارك بكامل أجزائه وترابه جميعه وكامل مرفقاته فوق الأرض وتحتها حق ثابت بقرار رباني تجلى في إسراء النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى بيت المقدس، وصلاته فيه وعروجه منه إلى السموات العُلا. وأثبته الفتح العمري، وأكد عليه التحرير الإسلامي غير مرة بقيادة صلاح الدين الأيوبي تارة، والمظفر قطز وبيبرس تارة أخرى، وما زالت في عصرنا دماء الشهداء ترويه.

وإن هذا الحق يشمل الأمة المسلمة كلها باعتبار المسجد قبلة المسلمين الأولى، وثاني مسجد وضع لعبادة الله في الأرض، وثالث المساجد التي تشد الرحال إليها.

وإن حق شعبنا في فلسطين حق ثابت، لا يقبل النقض ولا الإنكار، وإن تشكيك بعض الأصوات في ذلك ما هو إلا تكذيب للنصوص الدينية والتاريخ الواضح الثابت وإنكار للوعد الرباني بنصر شعبنا القادم، وفرجه القريب الموعود.

مصلّى باب الرحمة في أدب الرحلات الجغرافية

الدكتور محمد بحيص عرامين
رئيس الأرشيف الوطني الفلسطيني سابقاً

تمهيد:

مع اقتراب موعد الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، تصاعدت وتيرة التطرف في المجتمع الإسرائيلي، ويتمثل ذلك جلياً ليس فقط في الدعاية الانتخابية للأحزاب المتنافسة، بل وفي سفك مزيد من الدم الفلسطيني، ومضاعفة معاناة الأسرى والمعتقلين، والتغوّل الاستيطاني غير المسبوق، ناهيك عن الاعتقالات اليومية، والاقتحامات المتكررة لباحات المسجد الأقصى المبارك، بقيادة وزراء ومرشحين من الأحزاب اليمينية، وبحراسة مشددة من شرطة الاحتلال ومخابراته، لاستغلال هذه الإجراءات القمعية، كمادة لاستقطاب الناخب الإسرائيلي، ما فتح شهية التطرف لديهم على مصراعيها، بقرار حكومي صدر مؤخراً عن رئيس وزراء الكيان الاحتلالي؛ لفرض أمر واقع لطالما فشلوا في تحقيقه في أقدس مقدسات المسلمين في القدس، وذلك من خلال إصدار أوامره لأجهزة أمنه بإغلاق مصلّى باب الرحمة، والعبث بمحتوياته، لمنع المسلمين من أداء الصلاة فيه، وبالقوة، بعد أن تحطمت محاولاتهم السابقة على صخرة صمود المقدسيين والمرابطين المدافعين عن حقهم في التمتّع بحريّة العبادة في مسجدهم، مسرى الرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، ورفضهم الإذعان لكل الإجراءات العنصرية والتعسفيّة للمحتل الإسرائيلي، وغلاة مستوطنيه، والذين توهموا في غفلة من الزمن

العربي والإسلامي الرديء بسبب الأوضاع الصعبة التي تعيشها بعض الدول العربية، والانحياز الأمريكي، والدعم اللامتناهي لدولة الاحتلال، أن بإمكانهم تحقيق أحلامهم المريضة المرتكزة إلى خزعبلات، في السيطرة على المسجد الأقصى، وإقامة هيكلهم المزعوم على ثراه الطهور، ضاربين بعرض الحائط مشاعر المسلمين والعرب في أرجاء المعمورة، التي ستقود حتماً إلى إشعال فتيل حرب دينية، تأتي على الأخضر واليابس في منطقتنا الملتهبة أصلاً، وسيكون هؤلاء المهووسون أول ضحاياها دون أدنى شك، ولأنني أؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن أولى أولوياتنا كشعب فلسطيني وكقيادة، هي التخلص من هذا الاحتلال الغاشم الظالم، وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف -مفتاح السلام والحرب- فإن إفشال مخططات أعداء الأمّة في السيطرة على المسجد الأقصى المبارك، هي مقدمة الانتصار الأوسع والأشمل في تحرير أرضنا كاملة من دنس الاحتلال الصهيوني، وأولى خطوات العيش فوق تراب وطننا بكرامة وعزّة وحرية، كسائر شعوب الأرض. وهذا بالطبع وعد من الله عزّ وجل، وهو سبحانه لا يخلف وعده. ولمّا كان ارتباطنا بالمسجد الاقصى ارتباطاً عقدياً، فقد ارتأيت إلقاء الضوء على مصلّى باب الرحمة، كمَعْلَمٍ رئيس من معالم المسجد الأقصى، للتعريف به، وإبراز مكانته المستمدة من مكانة المسجد الأقصى وقدسيته وعروبة بيت المقدس منذ فجر التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وسآتي باختصار على ما ذكره بعض الرحّالة حول هذا المصلّى، من وصف وانطباعات تتعلق بالبناء، وبأبوابه الخارجية التي تفضي إلى المقبرة الإسلامية العمرية "المأنوسة"، كما وصفها صاحب الأنس الجليل، وهي مقبرة "باب الرحمة".

سور المسجد الشرقي:

يمتد سور المسجد الشرقي من الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك، وحتى الزاوية الشمالية الشرقية، وينتهي بباب الأسباط، أحد أبواب المسجد الأقصى الأربعة

عشر، التي منها عشرة أبواب مفتوحة، وهي: باب الأسباط، وباب حطّة، وباب العتم أو (باب فيصل)، وباب الغوانمة، وباب القطّانين ، وباب السلسلة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب المطهرة، وباب المغاربة. وأما الأبواب المغلقة، فهي: باب الرحمة، والباب المزدوج، وباب الجنائز، والباب الثلاثي ... وقد أغلقت هذه الأبواب بأمر من السلطان صلاح الدين الأيوبي لحماية المسجد الأقصى المبارك، ومدينة القدس من الفرنجة" [1] ويمكن اعتبار باب المغاربة، أو ما يطلق عليه أحياناً "باب النبي" أو "باب البراق" مغلقاً، وذلك بعد مصادرة مفاتيحه بالقوة عقب حرب عام 1967م، من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، حيث بقيت في أيديهم إلى يومنا هذا.

تكمن أهمية هذا السور بأنه سور المسجد الأقصى، وسور المدينة معاً، ويبلغ طوله حوالي 462 متراً، وقد شكّل بالنسبة إلى المسلمين المدافعين عن المدينة، خاصة زمن الحروب مع الفرنجة، نقطة ضعف من الناحية العسكرية. لذا كان يتعيّن تعزيز قوة الحامية المدافعة عن المدينة في هذا الجزء من السور على الدوام، ويؤكد ذلك الرحّالة المعروف ناصر خسروا في وصفه للمدينة، حيث يقول: "... والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي، وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى بـ"الساهرة". يقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر، ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم، ويقيمون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد، وعلى حافة هذا السهل مقابر كثير من الصالحين وقرافة عظيمة، يصلي بها الناس، ويرفعون بالدعاء أيديهم لتقضى حاجاتهم، مرددين: "اللهم تقبل حاجاتنا، واغفر ذنوبنا، وسيئاتنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ... "[2]

1. يوسف جمعة سلامة، دليل المسجد الأقصى، ص44.
2. بلادنا فلسطين، ص136.

ولا يسعنا ونحن نعيش هذه الأيام، حيث تصاعدت وتيرة التهويد، ومحاولات السيطرة المحمومة على المدينة، والمسجد الأقصى المبارك، تمهيداً لإزالته وإقامة الهيكل المزعوم مكانه، إلا أن نستذكر أولئك القادة العظام، الذين أمروا بإغلاق الأبواب من هذه الناحية تحديداً، وإنشاء مقبرة عظيمة خارج السور، بكل الفخر والاعتزاز، وذلك لبعد نظرهم وقدرتهم على استشراف عوائد الزمن مستقبلاً، وما يمكن أن يحل ببيت المقدس، أو المدينة المستهدفة، دوماً من أعداء الأمّة.

بابا التوبة والرحمة :

هذان البابان يقعان إلى الشمال الشرقي من المسجد الأقصى المبارك، ويسمى الباب الشمالي، بـ (التوبة)، والجنوبي يسمى بـ (الرحمة)، ويقعان في السور الشرقي للمسجد، والمطل على مقبرة (باب الرحمة)، حيث قبور صاحبي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شدّاد بن أوس، وعبادة بن الصامت، وأعيان المدينة وأشرافها.

وقد أطلق عليهما الصليبيون (الباب الذهبي)، واتخذوه شعاراً لحروبهم الدامية... "[1]

وعن هذا الباب يقول صاحب العقد الفريد: "... وباب التوبة الذي تاب الله فيه على داود. وباب الرحمة التي ذكرها الله في كتابه: { فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}(الحديد: 13)، يعني وادي جهنم الذي بشرقي باب المقدس.."[2]

وقد قدّم لنا أبو العباس، شهاب الدين بن فضل الله المعروف "بالعمري" في كتابه الشهير (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) وصفاً دقيقاً لمسجد باب الرحمة، نقلاً -كما يقول- عن الصاحب تاج الدين أبو الفضائل، أحمد بن أمين الملك، من مؤلفه الصغير (سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد)، حيث ذكر أنه "... شمالي هذا الرواق (ويقصد الرواق الواقع شمالي

1. شكري عراف، القدس الإسلامية، ص 67.
2. بلدانية فلسطين العربية، 349 - 350.

مهد عيسى)، على مضّي ثلاثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق إلى الغرب، ثلاثون ذراعاً، وعرضه، قبلة وشمالاً، أربعة عشر ذراعاً ونصف، وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع، يصلي فيه إمام منفرد، وهو معقود بالحجر المنحوت ست قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة على عاموديـن صوان بيض في الوسط، وساريتين في وسطه. طول كل عامود أحد عشر ذراعاً، ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متّخذ باطن البابين المسمّيين بباب الرحمة، وهما بابان قديمان قد سُدّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفّح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف، وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة. إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. وقد سُمّرا وأحكم غلقهما. سمّيا بأبواب الرحمة.."[*]

وتذكر المصادر التاريخية أن الرحّالة المقدسي "محمد بن أحمد ابن البنّاء" المعروف بالبشاري، قد قال في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي فرغ من تأليفه عام (373هـ/970م)، حيث تحدث عن شغف المغاربة في زيارة بيت المقدس بعد مكة المكرمة لتقديس حجّهم. وقد استعرض الأستاذ الكتّاني سرداً لثلاثة عشر من الرحّالة المغاربة، وهم: المعافري، ابن جبير، العبدري، ابن بطوطة، خالد البلوي، ابن خلدون، المقرّي، العياشي، العامري، ابن عثمان المكناسي، الزيّاتي، البلغيتي، وأحمد الهواري. ويضيف الكتّاني أن هؤلاء الرحّالة على امتداد ألف سنة تقريباً كلهم زاروا فلسطين وخصّوا بيت المقدس والمسجد الأقصى بزياراتهم للتعبّد والمجاورة، وتسجيل مشاهداتهم بدقة العلماء الأفاضل. وقد تركوا للأجيال وصفاً رائعاً للمسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصخرة المشرّفة، مسجّلين ما لاحظوا عليهما باطناً وظاهراً، ومُبدين إعجابهم الشديد بالمدن والقرى الفلسطينية، واستغرابهم من حسن الأبنية، وخصوصاً المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، والعديد

* المصدر السابق، ص 387.

من مرافق المسجد، كالمصاطب والجوامع والأسبلة والتكايا وغيرها، ولقاء أهل العلم والفضل، والأخذ عنهم، والتماس الدعاء الصالح منهم. ويضيف الكتّاني: أنهم، أي الرحّالة المغاربة "...لم يغفل أحد منهم عن التنويه بسمو أهل بيت المقدس، خصوصاً وبقية الفلسطينيين والشاميين عموماً بدواً وحضراً.."[*] والحقيقة أنه كان من الصعب الحصول على ما يؤكد تناول أياً من الرحالة المغاربة السابق ذكرهم لمصلّى باب الرحمة بشيء من التفصيل، باستثناء ما نُقل عن "ابن بطوطة" من أنه زار القدس مرّتين، كانت الأولى في سنة (726هـ/1325م)، والثانية سنة (749هـ/1348م)، حيث تحدّث في رحلته الأولى عن سور القدس، وأبواب المسجد الأقصى، بالإضافة إلى ما قدّمه من وصف للمسجد الأقصى، ومسجد قبّة الصخرة، وعن بعض أعمال الأمير تنكز الناصري في جلب الماء إلى القدس. وهنا يمكن الافتراض بأن ابن بطوطة قد عرض وصفاً لباب الرحمة، طالما أنه تحدّث عن سور القدس وأبواب المسجد الأقصى، باعتبار "باب الرحمة" أحد الأبواب الشهيرة في سور المسجد الشرقي. غير أن ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والتحرّي، وخاصة في رحلته "تحفة النظار في غرائب الأقطار وعجائب الأسفار". وبالمثل يمكن التكهّن بإمكانية العثور على معلومات ذات صلة بموضوع البحث هذا، في الرسالة التي تركها "ابن عثمان" الذي زار القدس في العام 1202هـ، وهي بعنوان "إحراز المعلا والرقيب في حج بيت الله الحرام، وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرّك بقبر الحبيب "، والتي وصفها "الكتّاني" بأنها مخطوطة من مخطوطات مكتبة القصر الملكي بالرباط، وقد نقل من هذا المخطوط أن المؤلف أي "ابن عثمان" قد وصف سور القدس، وأبوابها. وأما "ابن جبير" فقد اشتهر برحلته المشهورة في تاريخ الأدب الجغرافي العربي، والتي اعتبرت من الناحية الفنّية ... ذروة ما بلغه نمط المرحلة في الأدب العربي، حيث زار القدس وجال في أرجاء العالم الإسلامي . وقد حال الاحتلال

* محمد العربي المساري، مفتاح السلام، ص 46 - 47.

الصليبي دون زيارته لها سنة 578هـ، غير أنه تمكن من زيارة بيت المقدس في سنة 611هـ، ولمّا تحررت القدس على يد صلاح الدين الأيوبي أهدى له قصيدة طويلة مطلعها :

"... فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغرب من شاكر"

ومن الواضح أن الرجل قد اهتم بمسألة تطوّع المغاربة من أهل الأندلس وشمال إفريقيا في جيش "نور الدين الشهيد" والذين أبلوا بلاءً حسناً في قتال أعداء المسلمين.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث المقدسي الدكتور محمد غوشة، قد أورد معلومة مهمة للباحثين والدارسين، وذلك في مؤلفه المصّور، مفادها "أن الإدريسي 548هـ/ 1154م، كان من أوائل الذين ذكروا وجود باب الرحمة المسدود"[*]

وفي رحلتهما الجغرافية في العام 1947م قبيل النكبة بقليل، التي ابتداها مؤلفا كتاب "هذه فلسطين" باللغة الإنجليزية، استيفان حنا استيفان، وعفيف بولص، بزيارة كنيسة القيامة في البلدة القديمة في القدس، مروراً بالكنائس والأديرة والجوامع والمدارس والأزقة داخل أسوار المدينة وخارجها، بما في ذلك أبواب المدينة المقدسة، حيث انطلقا في زيارة المدن الفلسطينية كافة. وتلا ذلك زيارتهما لمدن الأردن (إمارة شرق الأردن) حينها، وسوريا، وانتهاءً بالعاصمة اللبنانية بيروت. ولأنهما قصدا من هذه الرحلة الطويلة كما جاء في المقدمة، وضع دليل لأهم المواقع الدينية والأثرية والجغرافية، فإن القارئ – حتى لو لم يكن من أهل هذه الديار - فسيجد نفسه يتجول معهما، وكأنه يشاهد شريطاً سينمائياً ممتعاً، لأنهما حقيقة لم يتركا شاردة ولا واردة إلا وتناولاها بالوصف الدقيق، المستند إلى معرفتهما العميقة بالتاريخ، قديمه وحديثه. كما لم يغفلا عن العودة إلى النصوص الدينية، والحقائق الأثرية، لمعظم مشاهداتهما.

أما ما يهمّنا في هذه الرحلة فهو ما ذكرا حول باب الرحمة في السور الشرقي للمسجد

* محمد غوشة، المسجد الأقصى المبارك، ص 105.

الأقصى، مؤكدين أن في هذا السور باباً واحداً مفتوحاً، وأظن أنهما قصدا بذلك "باب الأسباط"، أو "باب القبائل" كما سمّياه. وعن باب الرحمة أو "الباب الذهبي" فقد كتبا ما يأتي: "... يقع في منتصف السور الشرقي للمسجد الأقصى، وقد أغلق في العام 1530م، من قبل الأتراك العثمانيين. ويرتبط الاسم العربي الآخر للباب، وهو "باب الدهرية"، بالاعتقاد بيوم الحساب عند المسلمين، حيث إن مفاتيح هذا الباب في يد رئيس مشايخ المسجد المبارك. ويتم النزول إلى الباب عبر 22 درجة حجرية، تقود إلى البوابة المزدوجة، ليفضي إلى غرفتين واسعتين. وإلى الشرق بمسافة 18 ياردة يقع "باب الحصان" والذي كان يفتح باتجاه الجنوب، والباب الشرقي الذي يميل قليلاً ناحية الشمال. [*]

أما الرحّالة الغربيون فقد اهتموا بشكل عام بوصف تفاصيل الحياة المسيحية في القدس، وقد وجدناهم يدرجون أخباراً ذات قيمة حول وضع الأقليات غير المسلمة، وخاصة تحت الحكم العثماني، لكن بعضاً منهم تجاوز هذا الإطار إلى وصف المظهر والطراز المعماري للبيوت والكنائس والمقدسات الإسلامية وغيرها. وقد استفاض بعضهم في تسجيل العلاقة القائمة بين السلطة الحاكمة وممثليات أو قنصليات الدول الأوروبية، وتأثيرها من خلال عقد اتفاقات وبروتوكولات تنظم العلاقة مع الزائرين أو الحجّاج الأجانب، ولم يخلُ ذلك من انتقادات لاذعة أحياناً لبعض أوجه الفساد للحكام والمسؤولين الأتراك، من قبيل قبول الرشاوى أحياناً في سبيل تقديم التسهيلات لمن يؤم تلك الديار من أقطار العالم الغربي.

وفي تعليق الرحّالة الإسباني لويس بلانك حول الأوضاع في القدس، وما يحدث في المسجد الأقصى المبارك الشريف بعد سقوط القدس في قبضة الاحتلال الإسرائيلي في العام 1967م، فقد كتب يقول "إن الايتمولوجيا كما الطوبونيميا والأركيولوجيا في فلسطين أسلحة

* استيفان حنا استيفان وعفيف بولص، دليل هذه فلسطين، ص 44.

مميتة. وعليه؛ فإن ما لم يتمكن الصهاينة من الاستحواذ عليه بالقوة وتهويده، التمسوا سلاح الاركيولوجيا لتدميره، والوصول إليه".

و يرى بلانك أن "حائط البراق على سبيل المثال، يمثل صاروخاً ينذر بالانفجار في أي لحظة. كما أن كل شيء في المسجد الأقصى المبارك قابل للاحتراق، كما لو كان ذلك المكان مخزناً عظيماً من الغاز والبارود بفعل الإجراءات الإسرائيلية، وخاصة الحفريات تحت أساسات المسجد الأقصى والاقتحامات الاستفزازية اليومية لباحاته ."[*]

وحول باب الرحمة ، فقد أتى بلانك في رحلته هذه على ذكر محاولة أعضاء من الجماعة اليهودية المتطرفة المسمّاة بـ"غوش إمونيم"، تفجير المسجد الأقصى المبارك في العام 1982م، من نقطة قريبة من باب الرحمة في السور الشرقي للمسجد، وقد تم إفشال المحاولة بفضل يقظة حراس المسجد، وفي فصل آخر كتب بلانك حول سياسة التطهير العرقي المطبّقة على الفلسطينيين، وتوقف عند ممارسات المستوطنين من الجماعات الإرهابية اليهودية المسمّاة "تدفيع الثمن، وكاخ "، كما تعرّض كذلك للدوافع السياسية التي تقف خلف استقدام أعداد كبيرة من الإثيوبيين الفلاشا في العملية المعروفة بـ"عملية موسى"، تحت ذريعة أنهم عثروا على قبيلة "دان".

والحقيقة أنه وأثناء إعداد هذا البحث، لم أستغرب أبداً ما وجدت من تأثر العديد من الرحّالة الغربيين بالفكر الصهيوني، وبالحكايات والأساطير التوراتية التي حاكها كتّابهم وساستهم، للأهداف الاستعمارية التي يعلمها الجميع. غير أن المتتبّع والمدقّق فيما سجّله نفر قليل من هؤلاء الرحّالة حول قضايا وأحداث محددة، من قبيل حادثة الإسراء والمعراج، ونصب الصراط يوم الحشر، يثير الاستغراب ويحتار المرء في إيجاد تفسير لهذا الاهتمام، والدوافع الكامنة في ثناياه.

* لويس بلانك، رحلة إلى فلسطين، ص75.

الخلاصة:

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث الموجز حول مكانة مصلّى باب الرحمة وأهميته للمسلمين عبر العصور المختلفة، والذي كما أشرنا سابقاً يستمد أهميته من أهمية المسجد الأقصى المبارك وقدسيته، فهو أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث المسجدين الشريفين، التي تشد إليها الرحال . فكما هي القدس درّة تاج فلسطين، فإن المسجد الأقصى المبارك بكل مكوّناته هو كذلك درّة تاج القدس، ودونهما يفقد العرب – مسلمون ومسيحيون – أغلى ما يملكون، وربما يفقدون مبرّر وجودهم على هذه البسيطة، فلا حياة، ولا استقلالاً، ولا حرية، ولا كرامة للمسلم أو المسيحي في كل بقاع الأرض، طالما بقيت القدس ومساجدها وكنائسها مسرحاً لعربدة سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وغلاة التطرف والإرهاب الصهاينة، وسيبقى الصراع محتدماً إلى ما شاء الله. فهل من وقفة إسلامية ومسيحية جادة تضع حدّاً لهذا الاستبداد والظلم مرة وإلى الأبد ؟!!!

اللهمّ إنّا نشكو إليك...

أ.كمال بواطنة

مدير دائرة الكتب التربوية سابقاً

شـدّني دعـاء لأحـد التابعـين، ويدعـى عبـد اللـه بـن غالـب، رحمـه اللـه، ذلكـم العالـم العابـد الزاهـد المجاهـد، الـذي قـضى شـهيداً في معركـة الزاويـة في عهـد بـني العبّـاس، بعدمـا كـسر جفـن سـيفه، وقـال لأصحابـه: قومـوا بنـا إلى الجنّـة، وقاتـل حتّى قُتـل، وكانـت تفـوح مـن قـبره ريـح المسـك، وكانـوا يأخـذون مـن تـراب قـبره كأنّـه مسـك يضعونـه في ثيابهـم، وكان ممّـن عـاصروا الحسـن البـصريّ، رحمـه اللـه، وقـد كان يشـكو إلى اللـه في دعائـه، فيقـول:" اللهـمَّ، إنّـا نشـكو إليـك سـفه أحلامنـا، ونقـص أعمالنـا، واقـتراب آجالنـا، وذهـاب الصالحـين منّـا"(*).

وممّـا يلاحـظ أنّ عبـد اللـه بـن غالـب، رحمـه اللـه، هنـا شـكا إلى اللـه أربعـة أشـياء، جميـل بنـا أن نتوقّـف معهـا؛ لأنّهـا تمـسّ صميـم حياتنـا، وتجعلنـا نتنبّـه إلى آخرتنـا، وأوّل مـا شـكاه إلى اللـه (سـفه عقولنـا)، والسـفه خفّـة العقـل، والعقـل هـو مـن أجـلّ النعـم، ومـن دونـه يسـقط التكليـف، وسـعيد في دنيـاه مـن رزقـه اللـه عقـلاً راجحـاً، يجعلـه قـادراً عـلى تقديـر الأمـور، ووضعهـا في مواضعهـا.

ومـن الملاحـظ أنّ بعـض النـاس آتاهـم اللـه عقـولاً، ولكنّهـم فيمـا يصـدر منهـم سـفهاء، فقـد أضلّهـم اللـه عـلى علـم، وإنّي لأتسـاءل: أليـس الـذي يتعلّـق بالفانيـة، ويـترك الباقيـة سـفيهاً؟

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، الطبقة الأولى من التابعين، ص:257.

أليس الذي يرى أيام عمره تذهب سراعاً، ويظلّ غافلاً سفيهاً؟ أليس الذي لا يعتبر بما يجري له ولغيره سفيهاً؟ أليس الذي يدير ظهره لأوامر ربّه وزواجره سفيهاً؟ أليس الذي يتناول الأشياء الضارّة التي تُذهب العافية، وتُدمّر بدنه، وثبت ضررها المؤكّد سفيهاً؟ أليس الذي يجالس السفهاء، فيظنّه الناس منهم سفيهاً؟ أليس الذي يقلّد غير المسلمين تقليداً ضارّاً سفيهاً؟ أليس الذي تعرض له مواسم الخيرات، فلا يستغلّها في الطاعة سفيهاً؟ أليس الذي يؤجّج الخواطر، ويضرب الناس بعضهم بعضاً سفيهاً؟

إنّ أعظم ما يمكن أن تبتلى به الأمة سفه أحلام أبنائها، ولا سيما إذا كان هؤلاء حكامها، أو كانوا من كبار السنّ فيها، وهم الذين يؤمل منهم رجاحة العقل والحلم، والشاعر عرار يقول:

لله قومي كيف عكّر صفوهم طيش الشيوخ وخفّة الشبان

ومن البلايا أن يكون حديثو الأسنان يتحكّمون بالمصائر، وهؤلاء يكون عندهم طيش، وسوء ظنّ بأولي الأحلام والنهى.

والأمر الثاني، الذي شكاه عبد الله بن غالب، رحمه الله، إلى الله(نقص أعمالنا)، وهذه بليّة كبيرة، أن يكون في أعمالنا نقص، فلا نحن نقوم من الأعمال الصالحة بما يكفي، ولا نحن نؤدّي الأعمال التي نؤدّيها على الوجه الأمثل، والمتنبي يقول:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

من المؤلم ألا يكون لنا موطئ قدم في فعل الصالحين، والإسلام يطلب من المسلم أن يتقن عمله، وأن يخرج عمله كاملاً تامّاً، بعيداً عن الهلهلة والنقص، وهذا ينبغي أن يكون في كلّ عمل، سواء أكان عملاً دنيوياً أم أخروياً، وحقيقة الأمر أنّ النقص في أعمالنا الدنيوية جعل

غيرنا يسبقنا ويتفوّق علينا، والنقص في أعمالنا الأخروية يقلّل من أجرها عند الله، فالصَّلاة التي تؤدّى بالكمال والتمام، إن صاحبها الإخلاص لله، يكون أجرها تامّاً، والصلاة التي لا تؤدّى على الوجه الأكمل ترمى في وجه صاحبها، أو ينقص كثير من أجر فاعلها، وكذلك سائر الطاعات والعبادات.

والأمر الثالث، الذي شكا منه عبد الله بن غالب (اقتراب آجالنا)، وهذا أمر نغفل عنه كثيراً، فأيام أعمارنا تتناثر، وهذا يقرّب آجالنا من دون أن نعدّ الزاد للقاء الله، ونحن لغفلتنا ننشغل بالدنيا، ونحسب دراهمنا؛ ما يدخل إلينا منها، وما يخرج منها، ولا ننتبّه إلى ما ذهب من أعمارنا، وماذا عساه قد بقي، والشاعر أحمد الصافي النجفيّ يقول:

أرى ساعة العمر فوق المنى وأثمن للمرء من وفره
أيحسب ما فات من ماله ينسى الذي فات من عمره

وحقيق بمن يحتفلون بأعياد ميلادهم، وينفقون الأموال الكثيرة أن يقفوا وقفة حساب مع النفس، وأن يلتفتوا إلى مظاهر التقصير، وإلى أنّ العمر قصير، وما ولّى منه لن يعود، وخير لهؤلاء أن يبكوا دماً لا دمعاً على ما انقضى من أعمارهم، وخير للذين ينفقون أموالهم في حفلات تافهة، أن يتصدّقوا بهذا المال أو يضعوه فيما يعود عليهم بالنفع في حياتهم وآخرتهم، وقد أراد أحدهم أن ينبّه واحداً ممّن يحتفون بعيد ميلاده، فقال له: كم بلغت من العمر؟ فأجاب: بلغت الخمسين. فقال له: يا الله!! خمسون سنة وأنت سائر إلى قبرك، وإلى لقاء ربّك، فربّما أوشكت أن تصل!

والأمر الرابع، الذي شكاه هذا الداعي إلى ربّه هو (ذَهاب الصالحين منّا)، وذهاب الصالحين شرّ ويل، فالصالحون يذكّرون الناس بأقوالهم، ويقتدي الناس بأعمالهم، وهم-

عـادة- ينصحـون، ويصلحـون، ويعظـون، ويأمـرون بالمعـروف، وينهـون عـن المنكـر...، وهـم مثـل الغيـث لـلأرض، ومثـل العافيـة للأبـدان، وإذا ذهـب الصالحـون شـغل مكانهـم الفاسـدون مـن أهـل الخبـث، وهـؤلاء لـن يدلّـوا النـاس عـلى عمـل صالـح، بـل سيشـيعون بينهـم المفاسـد والمعـاصي والمنكـرات.

ولقـد كان العارفـون يـرون في رحيـل الصالحـين نذيـر شـؤم، وأنّ اللـه يريـد أن يـنزل عذابـاً مـن عنـده، فكانـوا يرحلـون مـن مـكان إذا رأوا فيـه أن اللـه يقبـض الصالحـين، وويـل لأمّـة سـاد فيهـا الجهّـال والفسّـاق والمتهتكـون والفاجـرون...!! وكـم رأينـا في دنيانـا أناسـاً مـن أهـل الصـلاح حفـظ اللـه بهـم الأمـن، وسـاد في حياتهـم الوئـام بـين النـاس، ولمّـا ماتـوا أو ذهبـوا إلى مـكان آخـر حـلّ الخـراب والخصـام.

جميـل بنـا أن نـردّد هـذه الدعـوات المبـاركات بيقـين عـلى اللـه، وقلـوب مخبتـة، فـلا نكـون ممّـن يدعـون ربّهـم بالأبـدان، ويهربـون منـه بالقلـوب، فلعـلّ اللـه يمـنّ علينـا برجاحـة العقـول، والإقبـال عـلى أعمـال الخـير، وأداء الأعمـال الصالحـة عـلى أتـمّ وجـه، وبإعـداد الـزاد للقـاء اللـه، ونـدرك أنّ العمـر قصـير، وهـو يضيـق يومـاً بعـد يـوم، ولعلّنـا نجـد في دنيانـا الصالحـين المصلحـين، الذيـن نجـد الخـير بوجودهـم.

قبس من خُلُقِ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في العفو والصفح

الشيخ د. : محمد يوسف الحاج محمد
مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين:-

إن مواقف سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في العفو والصفح لا تكاد تعد، فسيرته العطرة مثال للتسامح والمحبة والصبر والحلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا) [1].

فالعفو والصفح خلق ثابت لسيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن المؤمنين، وعن المنافقين، وعن المشركين، وهذه بعضٌ من الأحداث التي برزت فيه سجية العفو في سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم، لنأخذ منها عبرة تفيدنا، ودرساً يفهمنا الطريق القويم في هذه الحياة.

أخرج مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) [2].

1. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي، صلى الله عليه وسلم.
2. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ.

وأخرج البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا " قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(*) .

إنَّ العبرة الأهم في هذا الحديث العظيم أنَّه عليه الصلاة والسلام، لم يعاقب ذلك الأعرابي بأي عقاب، بل عفا عنه عفواً كاملاً، رغم أنَّ ما فعله جدير بأن يعتبر تهديداً للأمن العام للمجتمع المسلم، ولمجمل كيانه، بيد أنَّ محمداً، صلوات الله عليه، وعلى آله وأصحابه، تجتمع فيه مقامات النبوة مع مقامات الإمامة والقضاء والإفتاء، بالإضافة إلى مقتضيات البشرية العادية، ومقام النبوة هو الغالب في معظم المواقف النبوية، وفي هذه القصة يُغَلِّب عليه الصلاة والسلام، مقتضيات الرحمة المقترنة بصفته النبوية، والتي تدعو إلى العفو اتكالاً على عصمة الله تعالى له من الناس، ولا يلتفت لمقتضيات الإمامة -الزعامة السياسية- التي تقتضي عقوبة المعتدي حتى يكون عبرة لغيره، ذلك أنَّه عليه الصلاة والسلام، لا يحمل الشحناء على أحد، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، كما في حديث أمنا عائشة، رضوان الله عليها، السابق تخريجه، ولم تظهر ضرورة شرعية تقتضي العدول عن هذا الأصل العظيم.

ومن أمثلة العفو النبوي الجليل، ما أخرجه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا

* صحيح البخاري، كتاب المغازي،بَابُ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ.

عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1] .

فما أعظم آثار العفو والصفح الذي غيَّر نفسية ذلك الصحابي، فأصبح من أشد الناس محبة لسيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان من أشد أعدائه.

فإن كانت تلك سيرة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، مع أعدائه يعفو ويصفح ولا يجزي بالسيئة السيئة، فكيف مع أصحابه، وهم بشر فيهم عوامل الضعف البشري، فلا بد وأن بعضهم قد أخطأ وزل في بعض الأحايين؟ تنقل لنا السيرة النبوية العطرة الكثير والعجيب من أخبار عفوه، عليه الصلاة والسلام، عن أصحابه عندما يزلون، وصفحه عنهم عندما يخطئون، وحرصه عليهم وحبه لهم، ولكل فرد من أمته رآه أو لم يره، بأبي وأمي هو صلى الله عليه وسلم.

جاء في حديث كعب بن مالك، - وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - ما فيه عبرة من خلقه الحسن، صلى الله عليه وسلم، فمما جاء في ذلك الحديث الطويل: "فَجِئْتُهُ-أي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ." [2]،

1. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: 118].

فهذا رجل تخلف عن الخروج للحرب مع سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما عاد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، وجاءه الرجل يلقاه بابتسامة المغضب، فماذا كانت مشاعره عليه الصلاة والسلام تجاه صاحبه؟ إن ابتسامة الغضب أنبل تعبير عن الغضب، فمن الطبيعي أن يغضب عليه الصلاة والسلام، من رجل مؤمن بل وبَدْرِيْ -أي شهد بدراً- لا يليق به وبمكانته أن يقع في تلك الخطيئة، ولكنَّه عليه الصلاة والسلام، عبَّر عن الغضب بالابتسام! جاء في كتاب: "منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري" في ذلك الموقف النبوي الكريم: " ..أي تبسم لي ولكن آثار الغضب بادية على وجهه، لأنه، صلى الله عليه وسلم، لا يقابل إنساناً بما يكره"[*]، فغضبه عليه الصلاة والسلام، مخلوط بعاطفة المحبة والاحترام، فهو في حقيقته غضب لذلك الصحابي الجليل لا عليه، تعبيراً عن استنكاره صلى الله عليه وسلم، للخطأ مع عدم تيئيس المخطئ، ولا قطع وشائج المحبة معه، ويكفينا هنا أن نذكر قوله تعالى:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}(الأحزاب: 6)، فنفس المؤمن قد تسول له المعصية، أما النبي، صلى الله عليه وسلم، فهو الحريص على نجاة المؤمنين وفلاحهم، ولا يدلهم إلا على ما فيه خيرهم ونجاتهم، فهو عليه الصلاة والسلام، أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا فيه درس تربوي لكل مؤمنٍ مقتدٍ بسيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فما أجمل أن نعبر عن الغضب من الأهل والأبناء والأصدقاء والزملاء بشكل راق، دون تجريح ولا سباب، كي لا يجرنا إنكار الخطأ لقطع الصلة القلبية مع المخطئ، فلا نُحصِّل علاجاً للخطأ، وإلا إصلاحا للمخطئ، بل نفاقم المشكلات، ونزيد الطين بِلَّة، كل ذلك بسبب الانجرار وراء تعبيرات الغضب غير الحكيمة، والاقتداء بسيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعصمنا من ذلك، فصلى الله عليك يا خير معلم، وأعظم مؤدب.

* قاسم، حمزة محمد،منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، 5 / 10، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون،عدد الأجزاء: 5، مكتبة دار البيان، دمشق، 1410 هـ - 1990م.

ومن قطوف هذه الرياض النبوية العذبة في العفو والصفح عن ذوي القدر وأهل الفضل، ما أخرجه البخاري عن أبي إدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ، قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، يَقُولُ: كانَتْ بَيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ مُحاوَرَةٌ، فأغْضَبَ أبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فانْصَرَفَ عنهُ عُمَرُ مُغْضَباً، فاتَّبَعَهُ أبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ، حَتّى أغْلَقَ بابَهُ فِي وَجْهِهِ، فأقْبَلَ أبُو بكْرٍ إِلَى رسُولِ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالَ أبُو الدَّرْدَاءِ: ونَحْنُ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ رسُولُ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أمّا صاحِبُكُمْ هذَا فَقَدْ غامَرَ- أي سَبَقَ بِالخَيْرِ - قَالَ ونَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كانَ مِنْهُ، فأقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وجَلَسَ إِلَى النبيِّ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وقَصَّ عَلَى رسولِ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، الخَبَرَ، قَالَ أبُو الدَّرْدَاءِ: وغَضِبَ رسُولُ، اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وجَعَلَ أبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رسُولَ اللهِ لاَنَا كُنْتُ أظْلَمَ، فَقَالَ رسولُ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: هَلْ أنْتُمْ تارِكُون لِي صاحِبِي، هَلْ أنْتُمْ تارِكُون لي صاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أيُّها النَّاسُ، إِنِّي رسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، فقُلْتُمْ كذَبْتَ: وَقَالَ أبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ)(*) .

فالدرس التربوي من هذا الحديث العظيم أنَّ الخلاف مع الناس يجب أن لا ينسينا مقاديرهم، فإن اختلف شخص مع من هم فوقه في القدر، كالوالدين ومن يقوم مقامهما في القربى والسن أو العلم والفضل والسابقة في الخير، فيجب عليه أن يسمح لهم، ويتجاوز عنهم، حتى ولو أخطَأوا بحقه، فخطأهم لا يبرر نسيان فضلهم، لذلك جاء في بعض روايات الحديث أنَّ أبا بكر لم يؤذَ بعد تلك الحادثة، أي أنها كانت درساً لجميع الصحابة في توقير أبي بكر ومعرفة فضله وسابقته ومكانته.

*صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (الْأَعْرَاف: 158).

أنت تسأل والمفتي يجيب

فتاوى

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم تحليل الشخصيات ومعرفة طبائع الناس بناء على أبراجهم

السؤال: ما حكم تحليل الشخصيات ومعرفة طبائع الناس بناء على أبراجهم، دون الخوض في قراءة الطالع والمستقبل؟

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

الجواب: لا شك في أن تحليل شخصيات الناس ومعرفة طبائعهم بناء على أبراجهم مبني على ادعاء تأثير الأفلاك والنجوم في الناس، وهذا شرك بالله العظيم، وضرب من الكهانة والتنجيم، وقد حذر النبي، صلى الله عليه وسلم، من تصديق ما يقوله العرافون والمنجمون، فقال: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(*)، وجاء في قرار مجلس الإفتاء الأعلى رقم: 2/ 8 بتاريخ 4/ 12/ 1996م: " إن السحر والكهانة والعرافة حرام شرعاً، يأثم المتعامل بها، سواء بالممارسة أم الذهاب إلى من يمارسها، وكل ذلك من الكبائر المنهي عنها شرعاً، ويكفر مستحل ذلك"، والله تعالى أعلم.

* سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض، وصححه الألباني

2. حكم الدعاء على أحد بفقد أولاده

السؤال: هل يجوز أن أدعو على أحد الأشخاص بفقد أولاده، لإيذائه لي؟

الجواب: لا يشرع للمسلم أن يدعو على أخيه بغير حق، وأن يدعو بحصول مكروه له، فهذا من جملة الاعتداء في الدعاء، الذي نهى الله عنه بقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:55].

وإذا وقع على المرء ظلم، شُرع له أن يدعو على من ظلمه، فدعوة المظلوم مستجابة، ولكن ينبغي أن تكون دون تعدٍ، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «... وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(*)، والله تعالى يقول: {لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً} (النساء:148)

وعليه؛ فالذي يلحق به ظلم يمكن له أن يسعى لرفع الظلم عن نفسه بالطرق المشروعة، التي يتجنب فيها تجاوز الحدود والوقوع في الآثام، فلا يجوز لك أن تدعو على شخص ظلمك بفقد أولاده، لأنهم لم يظلموك، وإن كان قد وقع عليك من أبيهم ظلم كما تظن، فالله تعالى يقول: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم:38] مع التذكير بأجر الصابرين العافين عن الناس، عملاً بقوله عز وجل: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]، والله تعالى أعلم.

3. حكم لعب طاولة الزهر دون عوض

السؤال: ما حكم اللعب الودي لطاولة الزهر (النرد) دون جائزة أو مال، ودون أن تلهي عن العبادات والواجبات الأخرى؟

الجواب: ذهب جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة إلى تحريم اللعب

*صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا.

بالـنرد[1]، لقـول النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: « مَـنْ لَعِـبَ بِالنَّرْدَشِـيرِ، فَكَأَنَّمَـا صَبَـغَ يَـدَهُ فِي لَحْـمِ خِنْزِيـرٍ وَدَمِـهِ»[2]، وذهـب الأحنـاف إلى كراهيـة اللعـب بهـا، حيـث قالـوا: " ويكـره اللعـب بالـنرد والشـطرنج"[3].

وعليـه؛ فاللعـب بالـنرد يقـع حكمـه بـين الكراهـة والتحريـم، فـالأولى تجنبـه، اتقـاء للمشـتبهات مـن الأمـور والأفعـال، واللـه تعـالى أعلـم.

4. حكـم قـول الشـخص: حسـبي اللـه ونعـم الوكيـل، لمـن قـام بحظـره عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي

السـؤال: هـل يجـوز أن يقـول شـخص: حسـبي اللـه ونعـم الوكيـل، لمـن قـام بحظـره عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي، كيـلا يشـاهد حسـابه؟

الجـواب: عبـارة " حسـبي اللـه ونعـم الوكيـل" مـن أعظـم الأدعيـة والأذكار الـتي ينبغـي عـلى المسـلم أن يحافـظ عليهـا، فعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، رضي اللـه عنهمـا، قـال: «حَسْـبُنَا اللَّـهُ وَنِعْـمَ الوَكِيـلُ، قَالَهَـا إِبْرَاهِيـمُ، عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ، حِـينَ أُلْقِيَ فِي النَّـارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّـدٌ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، حِـينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّـاسَ قَـدْ جَمَعُـوا لَكُـمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَزَادَهُـمْ إِيمَانًـا وَقَالُـوا حَسْـبُنَا اللَّـهُ وَنِعْـمَ الوَكِيـلُ﴾»[4].

ومعـنى هـذا الدعـاء: أن اللـه وحـده كافينـا، وهـو حسـبنا الـذي نسـتغني بـه عـن غـيره في دفـع مـا أصابنـا مـن هـم وخطـر، وفي شـأننا كلـه، وهـو خـير وكيـل يسـتعان بـه في ذلـك[5].

وبعـض النـاس يتلفظـون بهـذا الذكـر بأسـاليب مسـتفزة للآخريـن، أو الدعـاء عليهـم بغـير حـق، وذلـك مرفـوض سـواء في المشـاحنات الـتي تحـدث بـين النـاس عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي أم غيرهـا، واللـه تعـالى أعلـم.

1. الفواكه الدواني: 2/ 349، ونهاية المحتاج: 8/ 295، وكشاف القناع: 4/ 48.
2. صحيح مسلم، كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير.
3. تحفة الفقهاء: 3/ 344.
4. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}.
5. منهاج السنة النبوية 7/ 204.

5. حكم السمسرة لأصحاب المهن، وغرامة التأخر عن السداد

السؤال: ما حكم السمسرة لأصحاب المهن التي يأخذونها على فرق ثمن البضاعة التي يشترونها لأصحاب البيوت بأقل من سعر الزبون العادي، دون إعلامه بذلك؟ وما حكم دخول التاجر في معاملة يشترط فيها فرض غرامة على التأخر عن سداد الأقساط الشهرية، رغم تيقنه بعدم التأخير؟

الجواب: السمسرة مشروعة إن لم تتلبس بالكذب والخداع والتغرير والمحظورات الأخرى، وينبغي أن تكون أجرة السمسار أو الوسيط معلومة باتفاق الفقهاء، حتى لا يقع أي نزاع فيما بعد، وهذا ما أشار إليه مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين، في قراره رقم: 1/ 6، بتاريخ 29 /8/ 1996م، والقرار رقم: 2 /48 بتاريخ 17/ 7/ 2004م، والوسيط يجب أن يكون واضحاً مع النّاس، بأنّه يقوم بعمل، ويأخذ عليه أجراً، ولا يجوز للسمسار أو الوسيط أن يوهم موكله أنّه فعل ذلك من قبيل الخدمة والنّصيحة، بينما هو متّفق مع جهة أخرى على أخذ أجر أو عمولة مقابل عمله وخدماته، أو أن يضيف زيادة مالية على ثمن العمل الذي وكل به ليأخذها لنفسه، دون أن يعلم الموكل له بها؛ لأن هذا من الغش، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: « مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (*).

وعليه؛ فيجوز لك الربح عن طريق السمسرة بعلم المشتري إن كان هو الذي سيدفع مقابل السمسرة، أما إن كانت من غيره فلا يشترط علمه.

وبخصوص فرض غرامة على التأخر في السداد، فلا يجوز للمقرض أن يشترط على المُقترَض منه إذا تأخر عن سداد الأقساط المؤجلة عن التاريخ المحدد، أن يزيد المبلغ المطلوب سداده؛ فأي زيادة على القرض مقابل الأجل هي من ربا النسيئة المحرم، وهذا ما نص عليه مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم 3/ 50 بتاريخ 5 /9 /2004م، والله تعالى أعلم.

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم: « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»

6. حكم طلاق الزوجة المقصرة في الصلاة وحث الأولاد عليها

السؤال: ما حكم الشرع في طلاق الزوجة المقصرة في الصلاة، لأنها لا تحث الأولاد عليها؟

الجواب: لا شك أن ترك الصلاة إثم عظيم، ومن كبائر الذنوب، لكن ينبغي للمسلم أن يتحلى بالحكمة، والرفق في إصلاح شؤون بيته، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]، وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[1]، وذلك يكون بالسبل الممكنة الكفيلة بإصلاح الأمر، وإن تعذر ذلك، فلا حرج في طلب الوساطة من أهل الخير والصلاح من الأقارب وغيرهم.

وعليه؛ فإذا كانت زوجتك والأولاد تاركين للصلاة تكاسلًا، فننصحك بالصبر عليهم، ونصحهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لهم، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وخير دليل على ذلك قصة أبي هريرة، رضي الله عنه، وأمه قبل أن تسلم، حيث قال: «كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَبْشِرْ، قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ...»[2]، والله تعالى أعلم.

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

2. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، رضي الله عنه

7. حكم عودة زوجين للحياة الزوجية بعد هجر طويل

السؤال: أنا منفصلة عن زوجي دون طلاق منذ سنة، وأقيم في بيت أهلي حالياً، وأفكر وزوجي بالعودة لبعضنا البعض، فهل يلزمنا إجراء عقد زواج جديد؟ أم أننا ما زلنا أزواجاً، وتجوز الخلوة بيننا؟

الجواب: الأصل أن تقوم العلاقة الزوجية على المودة والرحمة والإحسان، فالله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]، وهجر الرجل زوجته دون سبب شرعي يستدعي ذلك يعدّ ظلماً؛ لأن للزوجة حقوقاً على زوجها، كما له حقوق عليها، والرسول، صلى الله عليه وسلم، حث على معاملة النساء بالحسنى، والصبر عليهن، فقال: (فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً)(*)، وكذلك هجر الزوجة لزوجها دون سبب شرعي يعدّ ظلماً.

وعليه؛ فبما أن الهجر قد تم بينكما دون طلاق، فيجوز لكما الرجوع عنه دون أن يترتب عليكما إجراءات معينة، سوى استغفار الله تعالى، وإحسان معاشرتكما لبعضكما البعض، ولا يعد الهجر في هذه الحالة طلاقاً، والله تعالى أعلم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

* صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء.

نَهْـيُ الآبَـاءِ والأُمَّهـات عَـنِ الدُّعَـاءِ عَـلىٰ البَنِـينَ والبَنَـات

الشيخ / إحسان إبراهيم عاشور
مفتي محافظة خان يونس

إنَّ بعـضَ الآبـاءِ والأمَّهـاتِ يُكـثِرونَ مـن الدُّعـاءِ عـلىٰ أولادِهـم مِـنَ البَنِـينَ والبَنَـاتِ، وهـذا تـصَرُّفٌ سَـيِّئٌ مُخَالِـفٌ لِهَـدي خَـيْرِ البَرِيَّـات؛ ولكـنَّ اللـهَ بِلُطْفِـهِ وعَدلِهِ لا يَسـتَجيبُ لـكُل هـذه الدَّعَوات، وبَيـانُ هـذا في خَمْسَـةِ بُنُـودٍ واضِحـاتٍ:

أولاً/ يَجِـبُ عـلىٰ الوَلَـدِ ـ ذَكَـراً كَانَ أو أنـثىٰ ـ أنْ يَـبَرَّ وَالِدَيـهِ، وأنْ يَتَجَنَّـبَ عُقوقَهمـا، وألا يُعَـرِّضَ نفسَـهُ لِسَـخَطِهما، والدُّعـاءِ عَلَيـه؛ فـإنَّ اللـهَ قـد أوصىٰ بهمـا خـيراً في عـدد مـن الآيـات، ومنهـا قولـه تعـالى: {وَوَصَّيْنَـا الإنسَـانَ بِوَالِدَيْـهِ إِحْسَـاناً ...}(الأحقاف: 15)، كمـا أخـبَرَ النـبيُّ ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، عَـنْ سُـوءِ عَاقِبَـةِ مَـنْ عَـقَّ والِدَيـهِ؛ فقـال عليـه الصـلاة والسـلام: (لا يَدخُـلُ الْجَنَّـةَ عَـاقٌّ)(*)؛ بـل يَجـبُ عـلى الوَلَـدِ أنْ يُطِيـعَ والِدَيْـهِ، ويَتـوَدَّدَ لَهُمـا، ويَسـتَدِرَّ عَطْفَهُمـا، ويَسـتجْلِبَ حُبَّهُمـا؛ لِيَفـوزَ بِرِضاهُمـا، ويَظفَـرَ بِحَنانِهمـا، وَيَنَـالَ منهمـا دعـوةً صالِحَـةً يَسْـعَدُ بهـا في الدنيـا والآخـرة .

ثانيـاً/ عـلىٰ الوَالِديـن أنْ يُصلِحَـا مـا بَيْنَهُمـا وبـينَ اللـه عز وجـل؛ لِيُصلِـحَ اللـه لَهُمـا أولادَهُمـا، ثُـم يَلزَمَـا الأسـالِيبَ الـتي يَسـتَقيمُ بهـا سُـلوكُ الأولاد؛ كالتَّـنْشِئَةِ عَـلىٰ الدِّيـنِ والأخـلاقِ، وإحسَـانِ التربِيَـةِ، وحُسْـنِ القُـدوَةِ، ونَحـو ذلـك، وليُكْـثِرا مِـنَ الدُّعـاءِ لَهُـمْ بالصَّـلاحِ، والاسـتقامةِ، والتوفيـق لِطَاعَتِهِمـا، وبِرِّهِمـا، والإحسـانِ إلَيْهِمـا؛ فـإنَّ دُعـاءَ الوَالِـدِ لِوَلَـدِهِ مُسـتجابٌ حَتمَـاً؛ لِقولِـهِ صـلى اللـه

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، وصححه الأرنؤوط.

عليه وسلم: (ثلاثُ دَعَـواتٌ يُستَجَـابُ لَـهُنَّ، لا شَكَّ فِيهِـنَّ: دَعْـوةُ الْمَظلـومِ، وَدَعْـوَةُ الْمُسافِـرِ، وَدَعْـوَةُ الوَالِـدِ لِوَلَـدِهِ)[1] ، وإنَّ الْمَلائِكَـةَ تؤمِّـنُ عَـلَىٰ دُعَائِهِما كذلك، وهـذا أرجَىٰ للقَبُـولِ، وأدعَىٰ للإجَابَـةِ؛ فَعَـنْ أمِّ سَـلَمَةَ، أنَّ النَّـبِيَّ ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (لاَ تَدْعُـوا عَـلَى أنْفُسِـكُمْ إلاَّ بِخَيْـرٍ؛ فَإنَّ الْمَلاَئِكَـةَ يُؤَمِّـنُونَ عَـلَىٰ مَا تَقُولُـونَ)[2].

ولا يَسـتَبْطِئَنَّ أحَـدٌ إجَابَـةَ دُعائِـهِ، فيَترُكَـهُ؛ فـإنَّ لإجَابَـةِ الدُّعَـاءِ ثـلاثَ صُـوَرٍ، بَيَّنَهـا النـبيُّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بقولِـهِ:(مَـا مِنْ مُسْـلِمٍ يَدْعُـو بِدَعْـوَةٍ لَيْسَ فِـيهَا إثْـمٌ ـ أي مـعـصِـيَةٌ ـ، وَلاَ قَطِيعَـةُ رَحِـمٍ؛ إلاَّ أَعْطَـاهُ اللَّـهُ بِهَـا إِحْـدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّـلَ لَـهُ دَعْـوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَـا لَهُ فِي الآخِـرَةِ، وَإِمَّـا أَنْ يـصرف عَنْـهُ مِـنَ السُّـوءِ مِثْلَهَـا، قَالُـوا: إذاً نُكْثِرُ؟ قَـالَ: اللَّـهُ أَكْـثَرُ)[3]، وعـن أبي هريرة ، رضي اللـه عنـه، أنَّ النـبيَّ ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (لا يَـزالُ يُسْـتَجَابُ لِلعَبْـدِ مَـا لَـمْ يَـدْعُ بِإثْـمٍ، أَوْ قَطِيعَـةِ رحِـمٍ، مَـا لَـمْ يَسْتَعْـجِلْ، قيـل: يَـا رسـولَ اللـهِ، مَـا الاستِعـجالُ؟ قَـالَ: يقـولُ: قَدْ دَعـوْتُ، وَقَـدْ دَعَـوْتُ، فَلَـمْ أَرَ يَسْتَجِـيبُ لِي، فَـيَسْتَحْـسِرُ عِنْـدَ ذَلِـكَ، وَيَـدَعُ الدُّعَـاءَ)[4].

ثالثـاً/ لا يَجـوزُ الدُّعَـاءُ عـلىٰ النفـس، ولا عـلىٰ الأولاد، ولا عـلىٰ الأمـوال؛ لِئَـلا يُوافِـقَ دُعَـاؤه سـاعَةَ إجَابَـةٍ، فيُسـتجابَ لَـهُ، فَيَنـدَمَ، ولا يُمكِنُـهُ اسـتدراكُ مَـا حَصـلَ بِسَـبَبِ دُعَائِـهِ؛ فعَـنْ جابـر، رضي اللـه عنـه، أنَّ النـبيَّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال:(لا تَدْعُـوا عَـلَىٰ أَنْفُسِكُـمْ، وَلاَ تَدعُـوا عَـلَىٰ أَوْلادِكُـمْ، وَلاَ تَدْعُـوا عَـلَىٰ أمـوَالِـكُمْ؛ لا تُوافِـقُـوا مِـنَ اللـهِ سَـاعَةً يُسـأَلُ فِـيهَا عَـطَاءٌ، فَـيَسْـتَجِـيبُ لَـكُـمْ)[5]، والْمعـنىٰ: لا تَدعُـوا عَلَيهِـم؛ لِئَـلا تُـصَادِفوا سَـاعَةَ إجَابَـةٍ وقَبُـولٍ مِـنَ اللـهِ عـز وجـل، فتُـستَجَابَ دَعـوَةُ السُّـوءِ عـلىٰ مَـنْ دَعَوْتُـمْ عَلَيْـهِ، فَتَندَمُـوا، وَلاتَ حِـيْنَ مَنْـدَمٍ.

---

1. سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، وحسنه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.
3. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، وصححه الأرنؤوط.
4. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، فيقول: دعوت فلم يستجب لي.
5. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

كما أنَّ الدُّعَاءَ على الوَلَدِ يُعِيْنُ الشيطانَ عَلَيْهِ، ويُيَسِّرُ لَهُ إغوَاءَه؛ فعَنْ أبي هُرَيرَةَ ، رضي الله عنه، قال: (أُتِيَ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، بسَكرانَ، فأمَرَ بِضَربِهِ، فمِنَّا مَنْ يَضرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضرِبُهُ بنَعلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضرِبُهُ بِثوبِهِ، فلمَّا انصَرَفَ قالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ؟ أخْزَاهُ اللهُ، فقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا عَوْنَ الشَّيطانِ علَىٰ أخِيكُمْ)[1]

رابعاً/ إذا دَعَا أَحَدُ الوَالِدَين على وَلَدِهِ بِسبَبِ عُقوقِهِ، أو تَقصِيرِهِ في بِرِّه، فإنَّ دُعَاءَهُ مُستَجَابٌ قَطعَاً؛ لأنَّ الوَلَدَ ظَالِمٌ عَاقٌّ مُتَعَدٍّ على وَالِدَيْهِ، ويَشهَدُ لِهذا قَولُ النَّبيِّ، صلى الله عليه وسلم: (ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُستَجَابَاتٌ، لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعوَةُ الوَالِدِ، ودَعوَةُ الْمَسافِرِ، ودَعوَةُ الْمَظْلُومِ)[2] ، والْمعنىٰ: أنَّ دُعَاءَ الوَالِدِ علىٰ وَلَدِهِ العَاقِّ، الظَّالِمِ، الذي لا يُرجَىٰ بِرُّهُ وإحسانُهُ مُستجابٌ عِندَ اللهِ تعالى.

خامساً/ إنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تعالىٰ علىٰ عِبَادِهِ، وَرَحمَتِهِ بِهم أنَّهُ لا يَستَجيبُ دُعَاءَ الوَالِدَين علىٰ أولادِهِمَا في مُنَاسَبَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، أو حَالاتٍ خَاصَّةٍ، أضَعُهَا بَيْنَ أيْدِيكُمْ مُفَصَّلَةً في البُنُودِ الْخَمْسةِ الآتيةِ:

الحالة الأولى/ دَعوَةُ الوَالِدِ علىٰ وَلَدِهِ بغيْرِ حَقٍّ، ولا سَبَبٍ مَشروعٍ، ويُعَدُّ هذا مِنَ الاعتداءِ في الدُّعاءِ، الْمَانِعِ مِنَ الإجابَةِ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ مُنَزَّهٌ عن الظُّلم، ولا يُعِينُ علىٰ الإثْمِ والعُدوانِ؛ لِقولِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: { ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (الأعراف: 55)، وقد صَحَّ في الْحَديثِ أنَّ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، قال: (لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ ـ أي بِمعصِيَةٍ ـ، أَوْ قَطيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)[3] . كما أنَّ الدُّعَاءَ علىٰ أحَدٍ بِسُوءٍ إذا لم يَجِدْ لَهُ مَسْلَكاً عَادَ إلى صَاحِبِهِ؛ فعَنْ أبي الدَّردَاءِ ، رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ، صلى

1. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة.
2. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء بظهر الغيب، وحسنه الألباني.
3. سبق تخريجه

اللـه عليـه وسـلم، قـال: (إنَّ العَبْـدَ إِذَا لَعَـنَ شَـيْئاً، صَعِـدَتِ اللَّعْنَـةُ إِلَى السَّـماءِ، فَتُغْلَـقُ أَبْـوابُ السَّـماءِ دُونَهَـا، ثـمَّ تَهْبِـطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَـقُ أَبْوابُهَـا دُونَهـا، ثـمَّ تَأْخُـذُ يَمينـاً وَشِـمالاً، فَـإذا لَـمْ تَجِـدْ مَسَـاغاً رَجَعَـتْ إِلَى الَّـذِي لُعِـنَ، فـإنْ كَانَ أَهْـلاً لِذلِـكَ، وإلاَّ رَجَعَـتْ إِلَى قَائِلِهَـا)[1]، فيَكُـونُ بِذلِـكَ قَـد لَعَـنَ نَفسَـهُ، فَاسْـتَحَقَّ الإبعَـادَ مِـنْ رَحمَـةِ اللـهِ تبـارك وتعـالىٰ.

ولكِـنْ قـد يُوافِـقُ هـذا الدُّعـاءُ سَـاعَةَ إجابَـةٍ، فيُستجابُ؛ عقوبـةً للدَّاعِـي علىٰ ظُلْمِـهِ وتعَدِّيْهِ في الدُّعـاءِ، وعَـدَمِ استجابَتِهِ للنَّـهْيِ عَـنِ اللَّعـنِ، لا إكرَامـاً لَـهُ بالإجابَـةِ، وهـذا مـا أشـارَ إلَيـهِ النـبيُّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بقولِـهِ: (لا تَدْعُـوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُـمْ، وَلاَ تَدعُـوا عَـلَىٰ أَوْلادِكُـمْ، وَلاَ تَدْعُـوا عَلَىٰ أَمـوَالِـكُمْ؛ لا تُوافِـقُـوا مِنَ اللهِ سَاعَـةً يُسألُ فِـيهَا عَـطَـاءٌ، فَـيَسْتَجِـيبُ لَـكُـمْ)[2].

الحالـة الثانيـة/ إذا صَـدَرَ الدُّعـاءُ عـلىٰ الوَلَـدِ بغَـيْرِ قَصـدٍ، في حَـالِ الغَضَـبِ والانفِعَـالِ، وعنـد الضَّجَـرِ وَضِيـقِ الأخـلاقِ؛ لقـول اللـه تعـالىٰ: { وَيَدْعُ الإِنسَـانُ بِالـشَّرِّ دُعَـاءَهُ بِالْخَـيْرِ وَكَانَ الإِنسَـانُ عَجُـولاً } (الإسراء: 11)؛ فـإنَّ الإنسـانَ مِـنْ جَهْلِـهِ وعَجَلَتِـهِ قـد يَدعُـو عـلىٰ نَفسـهِ، أو أولادِهِ، أو مَالِـهِ بالـشَّرِّ عنـد الغَضَـبِ؛ تَسَرُّعـاً وانفِعَـالاً؛ ولكـنَّ اللـهَ بِلُطْفِـهِ ورَحمَتِـهِ يَسـتَجِيبُ لَـهُ في الْخَـيْرِ، ولا يَسـتَجِيبُ لَـهُ بالـشَّرِّ، وَلَـو اسـتَجَابَ لَـهُ رَبُّـهُ لَهَلَـكَ بِدُعَائِـهِ؛ كما قـال ربُّنـا تعـالى: {وَلَـوْ يُعَجِّـلُ اللَّـهُ لِلنَّـاسِ الـشَّرَّ اسْـتِعْجَالَهُمْ بِالْخَـيْرِ لَقُـضِيَ إِلَيْهِـمْ أَجَلُهُـمْ ...} (يونـس: 11). لأنَّـهُ يَعلَـمُ سُـبحَانَهُ أنَّ هـذا الدُّعَـاءَ غَـيْرُ مَقصُـودٍ، وأنَّ القَلْـبَ عَلَيْـهِ غَـيْرُ مَعقـودٍ.

الحالـة الثالثـة/ إذا دَعَـا عَـلَىٰ وَلَـدِهِ، أو غَضِـبَ عَلَيْـهِ؛ بسـبَبِ امتِناعِـهِ مِـنْ طَاعَتِـهِ في مَعصِيَـةِ اللـهِ؛ كأنْ يَطلُـبَ الأبُ مِـن أولادِهِ مُقاطَعَـةَ بَعـضِ أعمَامِهِـم، أو أرحَامِهِـم دون عُـذرٍ شرعِـيٍّ، أو أنْ يَشـهَدوا لَـهُ زُوراً عنـدَ القـاضي، فـلا يَمتَثِلـوا أمـرَهُ، فيَدعُـوَ عَلَيهِـمْ، فإنـه لا يُسـتجابُ لَـهُ؛ لقـولِ النَّـبيِّ، صـلى اللـه عليـه وسـلم: (لا طَاعَـةَ لِمَخْلُـوقٍ فِي مَعْصِيَـةِ الْخَالِـقِ)[3]

1.سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اللعن، وصححه الألباني.

2. سبق تخريجه

3.المعجم الكبير للطبراني: 18 /170 وصححه الألباني في السلسة الصحيحة: 1/ 350 .

الحالة الرابعة/ إذا كان الوالِدُ ظالِماً مُتعَدِّياً؛ كَمَنْ يأخذُ مَالَ وَلَدِهِ دون حَاجَةٍ، ويَتَملَّكُهُ؛ فإنِ اعترَضَ الوَلَدُ دَعَا عَلَيْهِ، أو أنْ تطلُبَ الأمُّ مِنْ بَناتِها أنْ يَتنازَلْنَ عَن حَقِّهِنَّ في الْمِيراثِ لِصَالِحِ إخْوانِهِنَّ، فَيَرفُضْنَ، فتغضَبُ عَلَيْهِنَّ، فلا يُستَجَابُ لَهُما؛ لِتَعَدِّيهِما وظُلْمِهِما؛ بل إنَّهُما علىٰ خَطَرٍ عظيمٍ؛ لِقول النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ، وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ...)(*).

الحالة الخامسة/ إذا دَعَا أَحَدُ الوَالِدَينِ علىٰ وَلَدِهِ، أو غَضِبَ عَلَيهِ؛ لِعَدَمِ طَاعَتِهِ فيما يَعُودُ علىٰ الوَلَدِ بالضَّرَرِ، أو يُلحِقُ الضَّرَرَ والأذىٰ بالآخَرِين، ومِنْ ذلك هذه الْحالات الْخَمسُ:

(1) أنْ يَطلُبَ مَنْ وَلَدِهِ تطليقَ زوجَتِهِ الصَّالِحةِ دونَ سَبَبٍ مَشروعٍ.

(2) أنْ تطلُبَ الأمُّ مِنِ ابْنَتِها اختلاقَ المشكلات لِزَوجِها لِيُطَلِّقَها؛ لأنها تكرَهُهُ، أو تزعُمُ أنه لا يَحترِمُها.

(3) أنْ يُضَيِّقَ أَحَدُ الوَالِدَين علىٰ وَلَدِهِ، ويُطَالِبَهُ أنْ يُسِيءَ مُعامَلَةَ زَوجَتِهِ، وَيُضَيِّقَ عَلَيها، وإلا كَانَ عَاقّاً.

(4) أنْ يُعامِلَ الأبَوانِ زوجَةَ ابْنِهِما بإذلالٍ وتَسَلُّطٍ، ويُلحِقَا بها الإهانةَ والازدِرَاءَ؛ فإنْ دَافَعَ الابْنُ عَنْ زَوجَتِهِ الْمظلُومَةِ كانَ في نَظَرِهِمَا عَاقّاً، مَحكُوماً لِزَوجَتِهِ، وغَضِبَا عَلَيْهِ .

(5) أنْ يَطلُبَ مِنْ أولادِهِ أنْ يُطِيعوا زَوجَةَ أبِيهِم طَاعَةً عَمياءَ، وأنْ يُبالِغوا في احتِرَامِهَا، بِصُورَةٍ تؤدِّي إلىٰ امتِهَانِ كَرَامَتِهِم ، وطَمْسِ شَخصِيَّتِهُم ، أو إيلامِ أمِّهِم حينَ يُكرَهونَ على الذِّلَّة لِضُرَّتِها.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، وصححه الأرنؤوط.

أيهما خير للمرء، الانعزال عن الناس أم الاختلاط بهم؟

الشيخ شريف مفارجة

باحث شرعي/ دار الإفتاء الفلسطينية

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بطبيعته محبّاً للاختلاط والاجتماع والأنس والألفة مع غيره من الناس، حيث قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)(*)، فلا يستطيع الشخص العيش وحيداً من دون مرافقة البشر؛ لأن الحياة الاجتماعيّة جزء من حياة الإنسان التي لا يمكنه التخلي عنها، والله تعالى يقول: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات: 13]، فلا يمكن للناس الاستغناء عن بعضهم بعضاً في تدبير أمور حياتهم، وخدمة أنفسهم، وتلبية حاجاتهم؛ لأنهم يحتاج بعضهم إلى بعضهم الآخر في كل شيء، فمثلاً كل صاحب مهنة يحتاج إلى غيره من أصحاب المهن الأخرى، وكذلك كل إنسان تربطه علاقاتٍ اجتماعية مع غيره من الأقارب أو الأصدقاء أو زملاء العمل أو الأصهار أو الجيران أو غيرهم، وهذه العلاقات تفرِض على المرء الاختلاط مع الآخرين، مما يؤدي في النهاية إلى نشر روح المحبة والتعاون وتحقيق المصالح والمنافع؛ إن التزم أفراد المجتمع بالأخلاق الحميدة، وحفظ كل فرد حقوقه وحقوق غيره، وقام بالواجبات المفروضة عليه، فهذا كله يخلق بيئة سليمة، وعلاقات أخوية بعيدة عن أسباب الخلاف والتشاحن والتشرذم.

* صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة

وقـوة المجتمـع تكمـن في قـوة الفـرد، وترتكـز عليـه، فكلمـا كان المجتمـع قويـاً كان ذلـك نابعـاً مـن تربيـة الفـرد السـليمة، إذا نشـأ في أسرة وبيئـة سـليمتين بعيـداً عـن العنـف والعـدوان والتناحـر، فينتـج عـن ذلـك أن يخـرج فـرداً صالحـاً يرغـب في الحيـاة الاجتماعيـة، أمـا إذا عـاش في أسرة أو بيئـة مليئـة بالمشـكلات والتنـازع بـين أفرادهـا، ولا يتحلـون بالقيـم الإسـلامية، والأخـلاق الفاضلـة، فـإنّ أفرادهـا غالبـاً يُعانـون مـن ضعـف في شـخصيتهم، ومـن مشـكلات نفسـية، كالخـوف مـن النـاس، والرهـاب الاجتماعـي، الـذي يسـبب ضعفـاً في التواصُـل مـع الآخريـن، وقـد يصـل بهـم الحـال إلى حالـة الاكتئـاب، أو العزلـة الاجتماعيـة، أو كـره النـاس، أو يلجـأ إلى الانتحـار، وإن توافـرت لـه متطلباتـه جميعهـا، وخـير مثـال عـلى ذلـك زيـادة معـدلات الانتحـار في بعـض بـلاد الغـرب، ومـن أسـباب ذلـك ضيـق العلاقـات الاجتماعيـة بـين الأفـراد الذيـن يعيشـون فيهـا، وحـتى الأقـارب فيمـا بينهـم، فيشـعر الفـرد أنـه يعيـش وحيـداً لا يحبـه أحـد، أو يهتـم به،فيضيـق صدره،لذلـك حـثّ الإسـلام عـلى بنـاء العلاقـات الحسـنة وتقويتهـا، فـشرع الزيـارات بأنواعهـا المختلفـة الخاليـة مـن مصالـح ومـآرب شـخصية فحسـب، ورتـب عليهـا الأجـر والثـواب، وخاصـة منهـا مـا كانـت خالصـة للـه تعـالى، كمـا نـدب إلى إرفـاق الهدايـا مـع الزيـارة؛ لزيادةالمـودة بـين النـاس، وبهـدف إعانـة بعضهـم بعضـاً عـلى مـا يحتاجـون إليـه، فقـد وردت نصـوص شرعيـة كثـيرة تحـث عـلى ذلـك، فعـن عائشـة، رضي اللـه عنهـا، أنهـا قالـت: (كَانَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، يَقْبَـلُ الهَدِيَّـةَ وَيُثِيـبُ عَلَيْهَـا) (*)،ومـن هـذه الزيـارات الطيبـة الـتي تقـوي العلاقـات الاجتماعيـة عيـادة المـرضى، وزيـارة أولي الأرحـام، والإخـوة والأحبـة في اللـه، والفقـراء والمسـاكين والمحتاجـين واليتامـى والأرامل،

* صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب المكافأة في الهبة.

والضعفاء والعاجزين، وخاصة في الأعياد، والمناسبات السعيدة والحزينة، ومواساتهم والشعور معهم، وننصح الناس بأن يبنوا علاقاتهم الاجتماعية أو يتعمقوا فيها مع أصحاب الصلاح والأخلاق الذين يصونون أسرارهم في الأحوال كلها، حال الاختلاف أو الاتفاق، ولا يضرونهم حال ضعفهم، أو عند عدم الاستفادة منهم، لهذا قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[1].

وقد اختلف العلماء فيما هو أفضل، العزلة عن الناس، أم الاختلاط بهم في غير الفتن، بناء على ما ورد من النصوص التي يحث بعضها على مخالطة الناس في أمور الخير، والصبر عليهم، ويحث بعضها الآخر على اعتزالهم، على أقوال:

القول الأول: ذهب هذا الفريق إلى أن الاعتزال عن الناس أفضل، ولكن ضمن ضوابط، منها كأن لا يلحقه ضرر أو هلاك بسبب ذلك، وممن ذهب إلى ذلك، سفيان الثوري، والفضيل ابن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، واستدل هذا الفريق بالحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، عِندَمَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ قَالَ: (رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)[2].

وبحديث عقبة بن عامر، رضي الله عنه، قال: (قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيْئَتِكَ)[3].

1. سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، وحسنه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء.
3. سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، وصححه الألباني.

واحتجوا كذلك بما ورد عن حذيفة بن اليمان: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال له: (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)[1]، وبأحاديث آخرى تحث على الابتعاد عن الفتنة.

وقال ابن عثيمين: "إذا فسد الزمان، ورأيت أن اختلاطك مع الناس لا يزيدك إلا شراً وبعداً من الله، فعليك بالوحدة، اعتزل"[2].

القول الثاني: أن الاختلاط بالناس أفضل، وإن صدر عنهم أذى، وممن ذهب إلى ذلك، سعيد بن المسيب، والشَّعبي، وشُريح القاضي، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن جنبل، وغيرهم، واستدلوا بما ورد عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)[3]،وهذه المخالطة تكون لأهل السوء من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا لأجل المؤانسة، فمن خالط الناس، ووعظهم، ونصحهم، وصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى، ولأجل إصلاحهم؛ كان خيراً ممن لا يخالطهم ولا يدعوهم، ولا يصبر على أذاهم لأجل الله سبحانه وتعالى، فقد عقب الإمام الصنعاني، رحمه الله تعالى، على الحديث المذكور آنفاً بقوله:"فِيهِ أَفْضَلِيَّةُ مَنْ يُخَالِطُ النَّاسَ مُخَالَطَةً يَأْمُرُهُمْ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَيُحْسِنُ مُعَامَلَتَهُمْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ الَّذِي يَعْتَزِلُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْمُخَالَطَةِ، وَالْأَحْوَالُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَزْمَانِ"[4]، وخير مثال على ذلك، ما قام به الأنبياء والرسل، عليهم السلام، في دعوة الناس إلى الحق، والصبر على

1. صحيح البخاري، كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.
2. شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين: 5/ 354.
3. سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، وصححه الألباني.
4. سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني: 2 /697

أذى أقوامهم، وخاصة منهم النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي لنا فيه أسوة حسنة، رغم أنه قام بدعوة الناس جميعهم إلى الله تعالى، وتحمل الأذى في سبيل ذلك، حيث إن قومه رجموه وآذوه بشتى أصناف الأذى، ورغم كل ذلك كان يصبر عليهم، ويدعو لهم بالخير والهداية.

القول الثالث: أن الاجتماع بأهل الصلاح ومجالستهم خير من الانعزال والانفراد، وأن الانعزال خير من مجالسة أهل السوء، وقد أخذوا بما ورد من أحاديث نبوية شريفة في هذا المجال، وبأقوال بعض العلماء، فعن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ(يعطيك)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)[1]، قال الإمام النووي، رحمه الله تعالى، معلقاً على هذا الحديث الشريف:" فِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ "[2]، وقال ابن عبد البر، رحمه الله: " وَرُبَّ صَرْمٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ"[3]

ويظهر أن لا تعارض بين الأحاديث النبوية الشريفة المذكورة، فربما تكون مجالسة أهل السوء للقادرين على تغييرهم، والقادرين على الصبر عليهم، وعدم التأثر بهم؛ أفضل من الانفراد عنهم، أما العكس إن كان في مجالسة أهل السوء أذى لا يستطيع المرء تحمله، أو يتأثر فيهم في أمور السوء، فينشغل عن ذكر الله سبحانه، أو يقع في الغيبة والنميمة، أو

1. صحيح البخاري،كتاب الذبائح والصيد، باب المسك.

2 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: 16/ 178.

3.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبي عمر يوسف بن عبد البرّ النمري: 6 /127.

يكتسب أخلاقاً مذمومة، فيكون في هذه الحالة الانفراد عنهم أفضل؛ لما في ذلك من مفاسد، أما بخصوص مخالطة الصالحين والعلماء الأخيار، فلا شك أنها أفضل من الاعتزال، لما يناله المرء جراء ذلك من خير وعلم وأخلاق حميدة، وترويح عن النفس، ومعرفة للواقع المحيط به، ونيل للثواب في العبادات التي تحتاج إلى جماعات، وكذلك مخالطة الناس بشكل عام، ونفعهم والاستفادة منهم مع تحمل أذاهم، أفضل من الاعتزال عنهم وخسران منافع المخالطة بهم.

وفي النهاية نقول: إن المفاضلة بين الاعتزال والاختلاط، تختلف باختلاف الأشخاص، والأوقات، والأماكن، والأحوال، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، بخصوص ذلك: " الْمُخَالَطَةَ تَارَةً تَكُونُ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحَبَّةً، وَالشَّخْصُ الْوَاحِدُ قَدْ يَكُونُ مَأْمُورًا بِالْمُخَالَطَةِ تَارَةً، وَبِالِانْفِرَادِ تَارَةً، فَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَهِيَ مَأْمُورٌ بِهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَهِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا، وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ أَوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بِهَا بِنَفْسِهِ، فِي دُعَائِهِ وَذِكْرِهِ، وَصَلَاتِهِ وَتَفَكُّرِهِ، وَمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ، وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ، فَاخْتِيَارُ الْمُخَالَطَةِ مُطْلَقًا خَطَأٌ، وَاخْتِيَارُ الِانْفِرَادِ مُطْلَقًا خَطَأٌ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إلَى نَظَرٍ خَاصٍّ"(*) وكل شخص طبيب نفسه في ذلك، والصواب أنه لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، فلكل منهما منفعة تعود بالخير على المجتمع والفرد.

وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

* مجموع الفتاوى،لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: 10/ 425.

دور التلفاز في حياة الأطفال

أ.يوسف عدوي

باحث وكاتب ومحاضر جامعي

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، محمد بن عبد الله، معلم البشرية الخير والصلاح، وعلى آله وأصحابه، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

المقدمة:

تتجه الأمم هذه الأيام نحو الاستثمار بالطفولة، لأهميتها بما تمثله هذه المرحلة من الإعداد والتخطيط للمستقبل، فجعلت أهم أهدافها تنمية العمليات العقلية المعرفية، وقدرات التفكير الإبداعي لدى الأطفال من سن سنة إلى ثماني عشرة سنة. فترتقي المجتمعات من النواحي جميعها؛ الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والفكرية.

إن من أكثر العوامل التي تؤثر في الأطفال، وفي بناء شخصياتهم وصقلها الإعلام، خاصة التلفاز الذي يعدّ مصدراً من مصادر الطفل المهمة في تنشئته تربوياً، واجتماعياً، وسلوكياً، وعلاقة الطفل مع التلفاز تبدأ في سن مبكرة، حيث يقضي ساعات طويلة يومياً أمام التلفاز دون توجيه، أو إشراف. لهذا مطلوب منا كأولياء أمور، وكبار، وتربويين، ومثقفين أن لا ندع الأطفال فريسة الإعلام الحديث، من تلفاز، وحاسوب وغيرها، فعلينا مراقبتهم وتوجيههم في التعامل، مع هذه الأجهزة، وما تقدمه، بما يحفظ شخصياتهم وأخلاقهم، ونموهم الفكري، والعلمي الصحيح. وسأتناول في مقالي هذا التلفاز ودوره في حياة الأطفال، وتأثيره فيهم .

أطفالنا أكبادنا:

الأطفال أمانة في أعناقنا، فمن حقهم علينا أن نرعاهم الرعاية التامة، بالحنو والرحمة، اقتداءً برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن نوجههم الوجهة السليمة في كل شيء، وفي ظل الإسلام وجدت الطفولة أمنها وسلمها، وصونها من عبث العابثين، وكيد المعتدين، وعدوان الجاهلين. فالأطفال ودائع عند أهلهم، فأوصانا الله سبحانه وتعالى بهم، وأن نقوم بمصالحهم الدينية والدنيوية، بتعليمهم، وتأديبهم، ودرء المفاسد عنهم، وأمرهم بطاعة الله، وملازمة التقوى على الدوام، وأمرنا بتربيتهم بما ينجيهم ويأخدهم إلى حسن المصير، فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (التحريم:6) .

إعلام الطفل نظرة إيجابية:

قيل من ملك الإعلام ملك كلّ شيء، حتى الشّارع والبيت وغرفة النوم، وحتى الأحلام، أليس بعض الأطفال يعانون من القلق الذي تسببه أفلام الرّعب؟ هناك تأثير شديد للآلة الإعلامية لهذا، فالشركات تعمل على أساس أنّ الطفل عالم قابل للتشكيل بحسب الرغبات التلفازية، والأهداف المقصودة، وأنه رهان كبير على المستقبل والحاضر، فبامتلاكه والسيطرة على وعيه، والتحكم في ميوله يمكن امتلاك المستقبل والسيطرة عليه، فالطفل هو الغد القادم، وما يرسم هذا الغد هو نوعية التربية والتلقين التي نقدمها لهذا الطفل في الحاضر، إلى درجة أن بعض الشعوب عندما تريد أن تقدم شيئاً، أو برنامجاً تلفازياً، تتساءل ماذا يمكن أن يكون تأثيره في الجيل الذي سيأتي بعد مرور خمسة أجيال من الآن؟ فكان حديث الناس والكثير من التربويين والمتخصصين قد ركز على النواحي السلبية للإعلام في حياة الطفل. لهذا سنبرز الإيجابيات، والسلبيات، والرؤية التوفيقية التي يمكن أن تقلل من السلبيات، وتعمل على دعم الإيجابيات وتقويتها.

إيجابيات التلفاز نحو الأطفال:

يحقق التلفاز جوانب إيجابية كثيرة ومتنوعة لدى الأطفال، ولعلَ أهمها :

1 - تنمية الحس الجمالي لدى الأطفال، فيعطى الطفل إحساساً باللون، والشكل، والحركة، والإيقاع الصوتي الجميل. ولا شك في أن الحاجة إلى الجمال تعتبر من الحاجات الأساسية للطفل التي ينبغي الحرص عليها .

2 - تنمية الخيال بأنواعه القصصي والدرامي، والخيال حاجة أساسية من حاجات الأطفال بشرط ألاّ يكون سلبياً، لا يحمل قيمة، ولا يغرس فضيلة. وهذا يفعّل عمليات التفكير العليا لدى الأطفال، كالاستدلال، والمقارنة، والاستنتاج، والتحليل، والتركيب.

3 - تعزيز الشعور الديني وتنمية المشاعر، وتعلّم نسيج الحياة الاجتماعية، والعلاقات بين الناس.

4 - تنمية الشعور الوطني من خلال حث الطفل على حب الوطن، والتضحية في سبيله.

5 - تنمية الثروة اللفظية للطفل، ممّا يمنحه قدرة على التعبير، وفهم العربية الفصحى.

6 - تقديم المعلومات المختلفة للطفل، مما يزيد من اطلاعه، ويوسع من معارفه.

الطفل اليوم يتعلم من أفلام الكرتون أكثر مما يتعلمه في المدارس، خاصة البرامج التي خصّصت لتقديم المعلومات بطريقة ممتعة وجذّابة، والتي تعرضها الفضائيات، ومحطات التلفزة العربية من مثل: محمد الفاتح، وصلاح الدين، وفتح الأندلس، ومحمد خاتم الأنبياء. وأفلام الرسوم المتحركة الهادفة، مثل (عدنان ولينا، وزينة ونحول، وساندي بل، وبيل وسبستيان، وغيرها) لها دور مهم في غرس القيم التربوية عند الأطفال، فهي تقدم أمثلة واقعية تطبيقية للصدق، والتسامح، والتعاون، والوفاء، وحب العمل وإتقانه، ومساعدة المحتاجين، وتقديم العون للفقراء، وحب الوالدين، واحترام الكبار والمعلمين والأجداد.

سلبيات التلفاز على الطفل:

أثبتت الدراسات أن برامج الأطفال تظهر مشاهد عنف أكثر بـ (50 - 60) مرة من برامج الكبار، ولا يخلو الأمر من أفلام الكرتون التي تتضمن أكثر من (80) مشهدَ عنف في الساعة. [1]

إن مخاطر مشاهد العنف اللفظي والجسدي، وما تسببه من تجريد المشاعر وإيجاد مناخ مليء بالمخاوف، فينقل الأطفال والمراهقون عادة إثارتهم وعنفهم إلى مدارسهم، فنجد المعلمين والمرشدين في مدارسنا يشكون من شدة العنف لدى الطلاب، وكثرة الإصابات فيما بينهم بسبب الاعتداء على بعضهم بعضاً، وأحياناً يمكن أن يرغب الأطفال في تنفيذ، أو تقليد ما شاهدوه من جرائم، أو أحكام تنفذ على شاشة التلفاز، خاصة القتل والإعدام وغيرها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، وفاة طفلين في سوريا قاما بتقليد عملية إعدام (نصار بن عربي) كما جاء في المسلسل الدرامي السوري " الخوالي". [2] . وكثرة مشاهدة الطفل للعنف، ومناظر القتل، والدمار تشعره بالتبلد الانفعالي، واللامبالاة تجاه ما يشاهد من مناظر عنف، التي أصبحت لا تثير شفقته وإنسانيته، والاحتمال الأخطر من ذلك أن الطفل يصبح مستقبلاً غير مكترث بالضحايا الحقيقيين الذين يتعرضون لعدوان ما، بسبب تكرار المشاهد وكثرتها خاصة ما يحدث هذه الأيام، في وطننا العربي، وما نشاهده على معظم محطات التلفزة من قتل، وتعذيب، وتدمير في كثير من البلاد العربية، وكذلك تنمية مشاعر الإحباط التي تؤدّي إلى السلوك العدواني الرهيب.

كذلك من سلبيات التلفاز ومخاطره على الطفل العربي والفلسطيني، نقل أخلاق حياة البيئات الأخرى وأنماطها إلى مجتمعنا، من قيم جديدة، وتقاليد غريبة تؤدي إلى التصادم

1. التلفاز وتأثيراته على سلوك الأطفال . http://bawaba.khayma.com
2. البرامج التلفزيونية على تشكيل الوعي لدى الأطفال . http://www.academia.edu.

بين القديم والحديث، وتغير، أو تشوه القيم والمفاهيم والمبادئ في عقول أطفالنا، وصناعة قدوات غير ما نطمح إليه في تربية أبنائنا على العلم، وأهل المعرفة، ومن هذه القدوات غير المحمودة التي تقدمها التلفزة : نجوم الفن، والغناء، والرقص، والرياضة بأشكالها المختلفة من كرة قدم، ومصارعة وغيرها. ومن السلبيات الخطيرة أيضاً، تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة على خلاف قيمنا الإسلامية والعربية الأصيلة، وكثير من الأحيان تثير البرامج التلفازية خاصة المسلسلات المعرّبة والمترجمة في النفس الغرائز البهيمية في وقت مبكر، بما تحويه على مشاهد وإيحاءات جنسية، وترويج إعلانات تعلّم ثقافة الجشع، والاستهلاك غير الصحيح من الصغر.

وفي إحصاء عن الأفلام التي تعرض على الأطفال عالمياً، وجد أن 29.6 % منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة و 27.4 % منها يعالج الجريمة، والعنف، والمعارك، والقتال الضاري، و15 % منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف [*].

ومن السلبيات الأخرى ما يتعلق بالأضرار التربوية، مثل، السهر إلى وقت متأخر من الليل، وإهمال الوقت وتجاهل أهميته، ممّا يؤدي إلى ضعف في التحصيل الدراسي، وتراجع في أداء الواجبات المدرسية، وكذلك الأضرار الصحية التي تنتج عن الجلوس الطويل أمام التلفاز كالكسل، والخمول، والتأثير في النظر والأعصاب، وعلاقة ذلك بالصرع والسلبية، والسمنة، أو البدانة بسبب عدم الانصراف إلى الرياضة لعدم وجود ثقافة الرياضة، أو وقت لذلك، واستحواذ التلفاز على كل الوقت، وهذا مما يؤثر في شخصيات أطفالنا، وصقلها بطريقة مخالفة ومغايرة لتاريخنا، وثقافتنا، وأخلاقنا، وقيمنا النابعة من عروبتنا وديننا الحنيف.

* مختصر لدراسة بعنوان : الطفل والإعلام، مرجع سابق،ص4

مظاهر التأثير السلبي للتلفاز في الأطفال:

من خلال احتكاكنا وتعاملنا كتربويين بطلبتنا، نلاحظ في سلوكهم وتصرفاتهم الكثير من الأمور الغريبة: كرفع الصوت من دون مبرر، والتلفظ بألفاظ بذيئة، والقيام بحركات جسدية غريبة، والتشتت، وعدم التركيز، والنعاس، والنوم داخل الغرف الدراسية، واللجوء إلى العنف في حسم الخلافات فيما بينهم لدرجة الإيذاء، والضرب المبرح، واستخدام أدوات حادة أحياناً، ويبدو أن هذا ناتج عن مشاهدتهم لأفلام العنف، والمصارعة الأمريكية الحرّة. وكذلك صدور أفكار مضلّلة ومشوّهة عن ديننا، سببها السموم التي تبثها الفضائيات من خلال إعلاميين يتوجهون إلى العامة والجماهير بأفكار بلغت في الغرابة الحدّ الذي فاق افتراء غلاة المستشرقين(*).

ونلاحظ على الأطفال الإحباط، والانهزامية والخوف من الفشل، وهذا يبدو بسبب مشاهدة بعض أفلام الكرتون، مثل " الذئب وردرنر" أو ما كنا نسميه صغاراً " بيب بيب" كذلك الاعتماد شبه الكلي على الآخرين، لدرجة ما يصرح به بعض أولياء الأمور أن الأطفال خاصة الذكور حتى في سن متأخرة من الطفولة، يطلبون من أمهاتهم، أو أخواتهم أن يحضرن لهم شربة الماء، وهم أقرب إلى الماء منهن، أو العمل على تغطيتهم عندما يخلدون إلى الفراش للنوم. ومن المظاهر أيضاً إلقاء الأشياء على الآخرين، والسهر الكثير، والسرقة، والخطف أحياناً، والخمول الذهني، وتراجع في ذكاء الأطفال، كذلك الخوف والقلق، والاضطرابات النفسية والعصبية، بسبب أفلام الرعب، وغزو الفضاء، وأفلام الجن والشياطين والخيال، وضعف علاقات الأطفال بأسرهم. والتأخر الدراسي الواضح والبيّن، والكذب والخداع والمراوغة من تعلمهم، وتأثرهم من بعض الأفلام التي تصور هذه الأمور على أنها خفة، ومهارة، وفهلوة، ومعها ينزع الحياء نزعاً من قلوب أطفالنا، والآداب التربوية السامية في حياتهم، وعدم

* نظرات في شبهات الفضائيات، ص1577، مجلة الأزهر، ج8، السنة 88، حزيران (2015م).

رغبتهم في الإقبال على قراءة الكتب الثقافية والأكاديمية، ويتجهون نحو القيام ببعض الحركات الجنسية والشذوذية؛ بسبب عدم قيام الوالدين بجهد إضافي في مراقبة الأطفال، ووقايتهم من النظر إلى جهاز التلفاز، حيث إن بعض القنوات تعرض أفلاماً غير محتشمة، ومخلة بالآداب[1]. وهناك قنوات تلفازية فضائية تضع السم في الدسم، بإعطائنا وتزويدنا بمعلومات جيدة من خلال مسلسلات، أو أفلام، أو صور متحركة هابطة لا أخلاقية. ونلاحظ أن محطات كبرى وعالمية تقلب الحقائق بطرق خفية، وعن طريق تكرار الرسائل الإعلامية ليتأثر فيها المتلقي بعد فترة من الزمن [2]، ومن غير المعقول أن الإعلام بمحطاته الكبرى القادر على قلب الحقائق تماماً في حياتنا السياسية، والاجتماعية، والفكرية العالمية ليس بقادر على غسل أدمغة أطفالنا الصغار قليلي الخبرة، وتشكيلها وفق مصالحه وسياساته .

السبيل إلى الحد من التأثير السلبي للتلفاز في الأطفال وتدعيم الإيجابيات:

التلفاز مثل سكين حاد تمكن الاستفادة النافعة منه، ويمكن أن يساء استخدامه فيكون مضراً. فإذا أدار التلفاز جماعات مؤمنة، وإصلاحية، ومنتمية، ومهنية، ومتعلمة، سيأتي بالنفع الكبير على الأطفال في المعرفة، والإدراك، والأخلاق، والمتعة واللهو المفيد، على قاعدة أن التلفاز يؤثر جداً في تشكيل الوعي لدى الصغار والكبار. ويمكن اتباع النصائح والإرشادات الآتية لجعل التلفاز يعم بالفائدة المرجوة؛ ليساهم في بناء الأجيال والوطن :

- رفد التلفاز ببرامج تعليمية توفر التعليم المقصود للمتعلمين، وتكون غنية بالخبرات والمعارف المتنوعة؛ لتغني أفكار الأطفال، وعملياتهم الذهنية؛ مما يوفر فرصة التعلم الجمعي المتكافئ لجميع الأطفال [3] .

1.تربية الطفل من القرآن والسنة، د. أحمد جمعة، ص131 .

2. كيف تؤثر وسائل الإعلام، (1994م)، محمد الحفيف، ص30 .

3. دور التلفزيون في تنمية قدرات التفكير الإبداعي عند أطفال ما قبل المدرسة، سعيد عياد، ص45 - 46 .

- عـدم وضـع جهـاز التلفـاز في غرفـة نـوم الأطفـال، وعـدم تركهـم يشـاهدون برامجـه خـلال تنـاول الوجبـات الغذائيـة، أو خـلال أداء الواجبـات المدرسـية.

- عـلى الكبـار أن يكونـوا قـدوة لأطفالهـم، في مشـاهدة البرامـج المفيـدة، ومحاورتهـم فيمـا يشـاهدونه، والتركـيز عـلى البرامـج الـتي تربـط الطفـل ببيئتـه المحليـة والعربيـة وتراثـه الإسـلامي.

- الموازنة في مشاهدة البرامج والأفلام التعليمية والوثائقية، وبرامج التسلية والترفيه.

- الحـذر مـن اعتمـاد الأمهـات عـلى التلفـاز كبديـل لهـنّ؛ لإلهـاء أطفالهـنّ في أثنـاء انشـغالهن في أعمالهــن المنزليــة.

- أن يقـوم مستشـارون وتربويـون بإعـداد البرامـج المحليـة الـتي تقـدم عـبر التلفـاز، بحيـث تتناسـب مـع المراحـل العمريـة المختلفـة، وثقافتنـا، وديننـا، وبيئتنـا، وحاجاتنـا[1].

- الإجابـة عـن أسـئلة الأطفـال الـتي تـدور في أذهانهـم حـول مـا يشـاهدونه، وتصحيـح معتقداتهـم الخاطئـة، وتعويـد الطفـل عـلى التفريـق فيمـا يشـاهده بـين الواقـع والخيـال، وإرشـاده بـأن لا يقلـد كل شيء يشـاهده في التلفـاز.

- إشـغال أطفالنـا بجوانـب مهمـة أخـرى، كالرياضـة مـن جـري، وكـرة قـدم، وسـباحة وغيرهـا، واسـتخدام الألعـاب التركيبيـة اليدويـة، والألعـاب الذهنيـة، وتشـجيعهم عـلى ممارسـة الألعــاب المشــتركة.

- منـح أطفالنـا أوقاتـاً كافيـة لـسرد القصـص لهـم مـن تاريخنـا المجيـد، وبعـض القصـص المعـاصرة ذات القيـم التربويـة، وأن نخـرج معهـم للفسـحة، ونسـاهم معهـم في تخطيـط أوقاتهـم.

- إظهـار روح التعـاون، والأحـلام الجماعيـة في برامـج الأطفـال بجانـب وجـود أحـلام فرديـة، وأهـداف جماعيـة، مثـل أهـداف تتعلـق بالوطـن، والأسرة، والحـيّ، والمدينـة، أو القريـة، أو المخيـم وهكذا[2]

1. وسائل الإعلام والطفل . http://www.islamicfinder.org/articles

2. أفلام ديزني نموذج لعكس بعض مظاهر العولمة، (2015م)، بيروت اللحام، بحث غير منشور، جامعة بيت لحم، ص48 .

خاتمة:

فئة الأطفال فئة لا يتم استبعادها من حسابات الدول المسيطرة والقوية، فهم يحاولون مبكراً إنشاء أجيال تتوافق مع مصالحهم، وأهدافهم، بزرع أفكارهم في أذهان الأطفال من خلال برامج الأطفال عبر طرق غير مباشرة وملتوية، وعندما نمعن النظر في برامج الأطفال، ونقوم بتحليلها سيتم اكتشاف العديد من الخفايا التي تعكس العولمة وثقافتها على أطفالنا، وأولياء الأمور لا ينتبهون لذلك، ويعتقد الطفل أن ما يقدم على التلفاز هو سلوك عادي يومي، فيمارسه كما يشاهده من عنف، وألفاظ، وحركات وغيرها.

إنّ كثيراً من برامج الأطفال الغربية، خاصة المقدمة للأطفال من شركة والت ديزني الأمريكية أكبر الشركات الإعلامية والترفيهية في العالم، تعمل على إلغاء القوميات، والهويات المحلية، وتحمل في باطنها رسائل مبطنة خفية، تخدم الغرب والاستعمار، عن طريق عرضها بطرق ملتوية(*) فنظرية الإعلام تقوم على فكرة، أو رسالة يراد نشرها بوسيلة مناسبة، ومتابعة مدى استجابة المستقبِل للرسالة، وقياس مدى ما يظهر من سلوك المستجيب متفقاً مع الرسالة، وهو ما يعبر عنه برد الفعل، والمراجعة، والتدقيق، والتغيير، والمعالجة حسب رد الفعل إذا لم يتفق مع مضمون الرسالة، وهذا ما يفعله أعداء الأمة باستمرار من خلال أساليب ووسائل متعددة، وخاصة التلفاز؛ لتدمير أطفالنا وشبابنا، وجعلنا متحضرين بطرقهم، ولتحقيق مصالحهم . فعلينا أن نعي ما يدور حولنا من مخططات وندركه ، وكفانا ما يحصل لنا نتيجة بعدنا عن منهجنا الإسلامي القويم، ونور البشرية والعالم، ولا ندع الآخرين يرسمون ويخططون لنا حياتنا، ويضعون لنا ديناً جديداً وفق خططهم ومصالحهم.

وأسال الله سبحانه أن يوفقنا لما فيه خير أطفالنا وأطفال البشرية جمعاء.

---

* أفلام ديزني نموذج لعكس بعض مظاهر العولمة، مرجع سابق، ص14.

شدوا الرحال إلى الأقصى

محمد ذياب أبو صالح
الهيئة الإسلامية العليا /بيت المقدس

شـدوا الرحـال إلى الأقـصى يناشدكـم ... يـا أمـة العـرب والإسـلام والديـن
شـدوا الرحـال إلى الأقـصى فـإن لـه ... نبضـاً بقلـبي ودفقـاً في شرايـيني
وفي عيـوني وأنفـاسي ومـعتـقدي ... وفي ضمـيري طـوال العمـر يشجينـي
وفي عيـوني ضيـاء البـدر يؤنسنـي ... فتبـصر العـين نـوراً عـاد يهدينـي
يـا أمـة الحـق بالإسـلام قـد حـكمـت ... بالعـدل والطهـر والإحسـان والليـن
وقـد حباهـا إلـه العـرش منزلـة ... بـين الأنـام وبـين الخلـق مـن حـين
يـا أمـة الحـق عـلَّ الله يجمـعكم ... يـا منـشئ الكـون بـين الـكاف والنـون
وذاريء الخلـق والأفـلاك قاطبـة ... وبـارئ الخلـق مـن مـاء ومـن طـين
هـل تعلمـون فحـال القـدس مزريـة ... قـد سـامها الخسـف مـن أبنـاء صهيـون
قـد هودوهـا وهـذا الكـون ينظرهـا ... وغـيروا كل مـا فيهـا بتلويـن

داسوا ثراها بأقدام مدنسة ... قد أفسدوها فحال القدس يشقيني

داسوا عليه بلا خوف ولا وجل ... ولا احترام إلى عهد ولا دين

نور على الكون قد أضفى أشعته ... نور من الله في الظلماء يهديني

القدس نور ونور الله يغمرها ... من فوق سبع حباها طيب تزيين

إني رهين إلى الأقصى بلا وجل ... لا شيء عنه بهذا الكون يثنيني

فلا جدار ولا طوق سيمنعنا ... من الوصول فصوت الحق يدعوني

لبيك قبلتنا يا فخر أمتنا ... عدنا بهمتنا بالعزم والدين

النار في القلب قد شبت حرائقها ... بين الضلوع على الأقصى فتكويني

لا البعد يجدي ولا الجدران تمنعنا ... لا الظلم باقٍ ولا الأيام تنسيني

إني أحنُّ إلى الأقصى فوا كبدي ... لا الحق يفنى ولا الأهوال تشقيني

النصر بالصبر قد طابت عواقبه ... صبراً جميلاً على إجرام صهيون

عصْرُ الكِمامَة

أ. زهدي حنتولي
موظف إداري
مكتب نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

عـلى قلـقٍ بإيمـاءٍ سـلامٌ تجشّـمَ خاطـري شـعراً يجـوبُ
يحـاورُ مـن بعيـدٍ صـوتَ نـايٍ يـردّدُ رجعـهُ لحـنٌ غريـبُ
ألا إنَّ القـوافيَ ذو لثـامٍ تحـيّرَ مـنْ ملامحهـا الأريـبُ
يقـولُ لسـانها حكَمـاً تـوارتْ بمـا فعلـتْ لسـالكها الـدروبُ
ومـنْ زمـنٍ إلى زمـنٍ سـيمضي ويَذْكُـرهُ بماضيـهِ المشـيبُ
غـزا ذا العـصرِ «كورونـا» بـداءٍ وليـسَ كمثلـهِ داءٌ مريـبُ
يحـاصرُ مـن يـراهُ ويلتقيـهِ ويوقَـدُ مـن ضراوتـهِ اللهيـبُ
وفي عـصْرِ الكِمَامَـةِ كلّ أمـرٍ تكمَّـمَ خلفـهُ أمـرٌ عجيـبُ
ضبـابٌ فـوقَ عتمتـهِ وغيْـمٌ وشـمسٌ يسـتظلُّ بهـا الغـروبُ
تـرى مـن خلـفِ أقنعـةِ المرايـا شـعاعَ الشـمسِ يحظـرهُ المغيـبُ
وصـوت الصمـتِ يهمـسُ مـن بعيـدٍ بـلا لغـةٍ يحـدّثُ مـن يصيـبُ

وتسمعُ صوتَ مئذنةٍ ينادي ... ألا إنَّ البيوتَ لكم وجوبُ

على حذرٍ كأنَّ الأرضَ تهوي ... وليسَ لخطوتي فيها دبيبُ

وقفتُ مسافةً بيني وذاتي ... وكانتْ وقفتي طيفاً يجوبُ

يصوِّرُ حالَ إغلاقٍ ومنعٍ ... وما آلتْ بفعلتها الخطوبُ

لبستُ كِمامَتي فوَقيْتُ نفسي ... رأيتُ بأنها حقّاً طبيبُ

وقلتُ غداً سيأتي بعدَ فجرٍ ... ويُزهرُ في الربى وردٌ طيوبُ

ويجتمعُ الأحبةُ بعدَ بُعدٍ ... تجافى عن لقائهمُ القريبُ

يصافحُ بعضنا بعضاً بشوقٍ ... وكلُّ تباعدٍ عنّا يذوبُ

ونطمرُ لجّةَ (الفيروسِ) طمراً ... يحلَّ مكانها أفُقٌ رحيبُ

مضرب الأمثال

أ.هالة عقل
رئيس قسم المطبوعات

نور الله

قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(النور: 35)

جاء في تفسير البغوي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال في تفسير قوله تعالى:{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون. وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات والأرض، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار. وقيل: معناه الأنوار كلها منه، كما يقال: فلان رحمة، أي منه الرحمة.

وقوله تعالى: {مثل نوره} أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به، كما قال فهو على نور من ربه، وكان ابن مسعود يقرأ: مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. أي: مثل نور قلب المؤمن،

قال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك، هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمى طاعة الله نوراً، وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً.

{كمشكاة}، قال مجاهد: هي القنديل فيها مصباح، أي: سراج وأصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وقوله {مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ}، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى: { يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ}، وأراد بالشجرة المباركة الزيتونة، وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة، لأن الزيت يسرج به، وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة.

وقوله تعالى: { لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ}، أي: ليست شرقية وحدها، حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية وحدها، فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية، تأخذ حظها من الأمرين، وقيل: معناه أنها معتدلة، ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية؛ لأن الشام لا شرقي ولا غربي.

{يَكَادُ زَيْتُهَا} دهنها، { يُضِيءُ}، من صفائه، {وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، أي: قبل أن تصيبه النار، {نُورٌ عَلَى نُورٍ}، يعني نور المصباح على نور الزجاجة.

واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد، صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: {مثل نوره كمشكاة}، قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه، صلى الله عليه وسلم، فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة، هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس، ولو لم يتكلم أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار.

وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل للقرآن، فالمصباح هو القرآن، فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة فمه، ولسانه، والشجرة المباركة شجرة الوحي، وقوله تعالى: {يهدي الله لنوره من يشاء}، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: لدين الإسلام، وهو نور البصيرة، وقيل: القرآن، ويضرب الله الأمثال للناس، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام، وتسهيلاً لسبيل الإدراك، والله بكل شيء عليم.[1]

مثل التواد والتراحم والتعاطف

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[2]

فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره، أحب أن يكون لأخيه نظيرها، من غير أن تزول عنه، كما قال ابن عباس: إني لأمر بالآية من القرآن، فأفهمها، فأود أن الناس كلهم فهموا منها ما أفهم. وقال الشافعي: وددت أن الناس كلهم تعلموا هذا العلم، ولم ينسب إليّ منه شيء. فأما حب التفرد عن الناس بفعل ديني أو دنيوي: فهو مذموم، قال الله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا} (القصص: 83)، وقد قال علي وغيره: هو أن لا يحب أن يكون نعله خيراً من نعل غيره، ولا ثوبه خيراً من ثوبه، فإن حصل لأحد فضيلة خصصه الله بها عن غيره، فأخبر بها على وجه الشكر، لا على وجه الفخر كان حسناً، فالمسلم يحب أخاه المسلم، ولا يتمنى له إلا خيراً، فإذا ما كان كل المسلمين ينعمون بالخير، بعيدين عن أمراض النفس، من غيبة ونميمة وغيرة وحسد، كان المجتمع كله سليماً معافى، وينبت نباتاً حسناً، وينعم بالسلم والسلام.

1. بتصرف عن تفسير البغوي: 3/ 415
2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم

مثل الهدى والعلم

عَـنْ أَبِي مُـوسَى، عَـنِ النَّـبِيِّ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، قَـالَ: «مَثَـلُ مَـا بَعَثَـنِي اللَّـهُ بِـهِ مِـنَ الهُـدَى وَالعِلْـمِ، كَمَثَـلِ الغَيْـثِ الكَثِـيرِ أَصَـابَ أَرْضًـا، فَـكَانَ مِنْهَـا نَقِيَّـةٌ، قَبِلَـتِ المَـاءَ، فَأَنْبَتَـتِ الـكَلَأَ وَالعُشْـبَ الكَثِـيرَ، وَكَانَـتْ مِنْهَـا أَجَـادِبُ، أَمْسَـكَتِ المَـاءَ، فَنَفَـعَ اللَّـهُ بِهَـا النَّـاسَ، فَشَرِبُـوا وَسَـقَوْا وَزَرَعُـوا، وَأَصَابَـتْ مِنْهَـا طَائِفَـةً أُخْـرَى، إِنَّمَـا هِـيَ قِيعَـانٌ لاَ تُمْسِـكُ مَـاءً وَلاَ تُنْبِـتُ كَلَأً، فَذَلِـكَ مَثَـلُ مَـنْ فَقُـهَ فِي دِيـنِ اللَّـهِ، وَنَفَعَـهُ مَـا بَعَثَـنِي اللَّـهُ بِـهِ فَعَلِـمَ وَعَلَّـمَ، وَمَثَـلُ مَـنْ لَـمْ يَرْفَـعْ بِذَلِـكَ رَأْسًـا، وَلَـمْ يَقْبَـلْ هُـدَى اللَّـهِ الَّـذِي أُرْسِـلْتُ بِـهِ» [1]

قـال المهلـب: فيـه ضرب الأمثـال في الديـن، والعلـم، والتعليـم. وفيـه: أنـه لا يقبـل مـا أنـزل اللـه مـن الهـدى والديـن إلا مـن كان قلبـه نقيـاً مـن الإشراك والشـك. فالـذي قَبِـلَ العلـم والهُـدى كالأرض المتعطشـة إلى المـاء، فهـي تنتفـع بـه فتحيـا فتنبـت. فكذلـك هـذه القلـوب البريئـة من الشـك والـشرك، المتعطشـة إلى معالـم الهـدى والديـن، إذا وَعَـت العلـم حَيَـثْ بـه، فعملـت وأنبتـت بمـا تحيـا بـه أرمـاق النـاس المحتاجـين إلى مثـل مـا كانـت القلـوب الواعيـة تحتـاج إليـه. ومـن النـاس مـن قلوبهـم متهيئـة لقبـول العلـم، لكنهـا ليـس لهـا رسـوخ، فهـي تقبـل وتمسـك، حـتى يـأتي متعطـش، فـيروى منهـا، ويَـرِدُ عـلى منهـل يحيـا بـه، وتسـقى بـه أرض نقيَّـة فتنبـت وتثمـر، ومنهـا قيعـان - يعـني قلوبـاً تسـمع الـكلام، فـلا تحفظـه، ولا تفهمـه، فهـي لا تنتفـع بـه، ولا تنبـت شـيئًا؛ كالسِّـباخ المالحـة الـتي لا تمسـك المـاء، ولا تنبـت كلأ. وقولـه: (أجـادب) - جمـع جـدب عـلى غـير لفظـه، وكان القيـاس أن يكـون جمـع أجـدب - لـو قيـل، وقـد جـاء مثـل هـذا كثـير، قالـوا: محاسـن جمـع حسـن، وكان القيـاس أن يكـون جمـع محسـن - لـو قيـل.[2]

1 صحيح البخاري، كتب العلم، باب فضل من علم وعلم

2. بتصرف يسير عن شرح صحيح البخاري، ابن بطال،1/ 163.

قَالَ النَّوَوِيّ: معنى هَذَا التَّمْثِيل أَن الأَرْض ثَلَاثَة أَنْوَاع، فَكَذَلِك النَّاس. فالنوع الأول: من الأَرْض ينْتَفع بالمطر، فتحيى بعد أَن كَانَت ميتَة، وتنبت الْكلأ فينتفع بِهِ النَّاس وَالدَّوَاب. وَالنَّوْع الأول: من النَّاس يبلغهُ الْهدى وَالْعلم فيحفظه، ويحيي قلبه، وَيعْمل بِهِ ويعلمه غَيره، فينتفع وينفع. وَالنَّوْع الثَّانِي: من الأَرْض: مَا لَا يقبل الانْتِفَاع فِي نَفسهَا، لَكِن فِيهَا فَائِدَة، وَهِي إمْسَاك المَاء لغَيْرهَا، فينتفع بِهِ النَّاس وَالدَّوَاب، وَكَذَا النَّوْع الثَّانِي من النَّاس: لَهُم قُلُوب حافظة، لَكِن لَيست لَهُم أذهان ثاقبة وَلَا رسوخ لَهُم فِي الْعلم يستنبطون بِهِ الْمعَانِي وَالْأَحْكَام، وَلَيْسَ لَهُم اجْتِهَاد فِي الْعَمَل بِهِ، فهم يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَجِيء أهل الْعلم للنفع وَالِانْتِفَاع، فَيَأْخذهُ مِنْهُم فينتفع بِهِ، فَهَؤُلَاءِ نفعوا بِمَا بَلغهُمْ. وَالثَّالِث من الأَرْض: هُوَ السباخ الَّتِي لَا تنْبت، فَهِيَ لَا تنْتَفع بِالْمَاءِ وَلَا تمسكه لينْتَفع بِهِ غَيرهَا، وَكَذَلِكَ الثَّالِث من النَّاس: لَيست لَهُم قُلُوب حافظة، وَلَا أفهام وَاعِيَة، فَإِذا سمعُوا الْعلم لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلَا يَحْفَظُونَهُ لنفع غَيرهم.

الأول: المنتفع النافع، وَالثَّانِي: النافع غير المنتفع. وَالثَّالِث: غير النافع وَغير المنتفع. فَالْأول: إِشَارَة إِلَى الْعلمَاء. وَالثَّانِي إِلَى النقلَة. وَالثَّالِث: إِلَى من لَا علم لَهُ وَلَا عقل. (*)

وهذا مثل بليغ عن فضيلة من تعلم العلم، وعمل به، وعلمه للآخرين، الذي كانوا كالماء الذي أينما حل أنبت نباتاً حسناً.

وإلى لقاء آخر مع أمثال من وحي ديننا الحنيف، للتدبر بما فيها من الحكم والعبر، والتفكر في مضامينها، وصلى الله وسلم، على حامل الأمانة ومؤديها سيدنا وحبيبنا وشفيعنا، محمد، وبارك الله عليه، وعلى آله، وصحابته الغر الميامين.

* بتصرف عن عمدة القاري، أبو محمد بدر الدين العيني: 2 /76.

اقرأ وتذكر

أ.إيمان تايه

رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

عشر مواعظ تضيء حياتك

★ الموعظة الأولى

تذكَّر أن ربَّك يغفر لمن يستغفر، ويتوب على من تاب، ويقبل من عاد !

★ الموعظة الثانية

ارحم الضعفاء تسعد، وأعطِ المحتاجين تُشافَ، ولا تحمل البغضاء تُعافَ..

★ الموعظة الثالثة

تفاءل... فالله معك، والملائكة يستغفرون لك، والجنة تنتظرك ..

★ الموعظة الرابعة

امسح دموعك بحسن الظن بربك، واطرد همومك بتذكُّر نعم الله عليك ..

★ الموعظة الخامسة

لا تظن بأن الدنيا كَمُلت لأحدٍ ، فليس على ظهر الأرض مَنْ حصل له كلُّ طلبٍ، وسلِم من أيِّ كدر ..

★ الموعظة السادسة

كن كالنخلةِ عاليَة الهمَّة، بعيدة عن الأذى، إذا رُمِيت بالحجارة ألقتْ رطبها ..

الموعظة السابعة

هل سمعتَ أنَّ الحزن يُعيدُ ما فات، وأن الهم يُصْلِح الخطأ، فلماذا الحزن والهم إذاً ..؟!

الموعظة الثامنة

لا تنتظر المحن والفتنَ، بل انتظر الأمن والسلامَ والعافية، بإذن الله تعالى .

الموعظة التاسعة

اطفئ نار الحقد من صدرك بعفوٍ عام عن كلِّ من أساء لك من الناس ..

الموعظة العاشرة

الوضوءُ والصلاة والصدقة والسعي في حوائج إخوانك أدويةٌ ناجحةٌ لكلِّ كدرٍ !

ازرع الخير لتحصد ثماره، سترحل ويبقى الأثر ....

التقوى أصل السلامة

قال ابن الجوزي، رحمه الله: "اعلم أن الزمان لا يثبت على حال، كما قال عز وجل: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}(آل عمران: 140) فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلى حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه؛ لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة، وحارس لا ينام" (*)

عبارات من ذهب

عندما يُطعن الطيبون في قلوبهم، يتوعدون بالانتقام، وحين تأتيهم الفرصة على طبقٍ من ذهب، تصرخ ضمائرهُم (العفو عند المقدرة)

- لا تحكم على مستقبلك من الآن! فالأنبياء، رعوا الغنم ثم قادوا الأُمم ...
- ستبقى في دائرة الضياع والأحزان ما دامت الصلاة ليست في دائرة اهتمامك.

فالصلاة مقرونة بالفلاح (حيَّ على الفلاح) فكيف يفلح من لا يصلي؟

* صيد الخاطر: 1/ 39.

- لـك الحريـة أن تكـره أفعـال شـخص مـا، ولكـن ليـس مـن حقك أن تشـوه سـمعة مـن كرهت..
- انتظـر الفـرج وكأنـك عـلى موعـد معـه، أن يتأخّـر الفـرج لا يعـني أنّـه لـن يـأتيّ ، فأقـدارُ اللّـه مُبطّنـه بالرّحمَـات، ولكننـا قـومٌ يسـتعجلون...
- سـألوا حكيمـاً: مـن تحـب أكـثر أخـاك أم صديقـك؟ فقـال : أحـب أخـي حينمـا يكـون صديقـي، وأحـب صديقـي حينمـا يكـون أخـي..
- ليس البكـاء عـلى النفس إن مـاتـت ... ولكن البكاء على التوبـة إن فـاتـت...

أستغفر الله وأتوب إليه .

رقائق في دقائق

- يَحيا المؤمن بيَن أمرين: يُسر وَعُسر، وكلاهما "نِعمة" لو أيقَن،

- ففِي اليسر: يكون الشكر، والله تعالى يقول: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران: 144)

- وفِي العسر: يكون الصَبر، والله تعالى يقول : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (الزمر: 10)

مطمئنات

- قال الله تعالى لعباده: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}(الزمر: 53)
- وقال يعقوب لأولاده: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}(يوسف: 87)
- وقال يوسف لأخيه: {فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(يوسف: 69)
- وقال شعيب لموسى: {يَا مُوسَى لَا تَخَفْ}(النمل: 10)
- وقال نبينا لأبي بكر: { إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }(التوبة: 40)

نشر الطمأنينة، في النفوس في ساعات القلق، منهج إلهي نبوي، انشروا الطمأنينة والثقة بالله، فلا بدَّ من فَرَجٍ قريب.

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج
مدير عام مكتب سماحة المفتي العام

المفتي العام يلتقي السفير التركي

القدس: التقى سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك السفير التركي السيد أحمد رضى ديمير، مثمناً دور تركيا رئيساً وحكومة وشعباً المؤازر والداعم للقضية والشعب الفلسطيني، مؤكداً على عمق الروابط التاريخية بين الفلسطينيين والأتراك، حاثاً العرب والمسلمين على القيام بمسؤولياتهم تجاه الشعب الفلسطيني وحماية مقدساتهم، وقد شكر السفير سماحته على حسن الاستقبال، مثنياً على العلاقات المتينة بين الشعبين التركي والفلسطيني.

المفتي العام يلتقي وفداً من هيئة الأعمال الخيرية

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك، في مكتبه في القدس وفداً من هيئة الأعمال الخيرية في فلسطين، حيث ثمن سماحته سلسلة البرامج والنشاطات التي تنفذها الهيئة في فلسطين، التي من شأنها الإسهام في تعزيز صمود الفلسطينيين، وطالب سماحته الدول والمؤسسات المعنية بحرية الإنسان والأديان بالوقوف في وجه الاعتداءات الإسرائيلية الآثمة ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، مناشداً الأمتين العربية والإسلامية بتحمل مسؤولياتهما تجاه القدس وفلسطين، والدفاع عنهما، وحماية المقدسات من اعتداءات المتطرفين المستوطنين، الذين يعيثون فساداً في الأراضي الفلسطينية بحماية من سلطات الاحتلال، مؤكداً على أن هناك مسؤولية تاريخية تقع على عاتق الدول العربية والإسلامية، للدفاع عن القدس وحماية المسجد الأقصى المبارك، خاصة في ظل محاولات التهويد التي تحاول سلطات الاحتلال فرضها على المدينة المقدسة.

من جانب آخر؛ قدم إبراهيم راشد - مفوض عام الهيئة في فلسطين- شرحاً عن أبرز النشاطات والبرامج التي تنفذها هيئة الأعمال الخيرية في فلسطين وفي القلب منها القدس الشريف.

دار الإفتاء الفلسطينية، تكرم وتودع مدير دائرة البحوث الشرعية

القدس: تحت رعاية سماحة الشيخ محمد أحمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، أقيم في مقر الإدارة العامة لدار الإفتاء الفلسطينية حفل وداع وتكريم لفضيلة الشيخ الدكتور ياسر حماد، مدير دائرة البحوث الشرعية، بمناسبة إحالته إلى التقاعد، وفي كلمة لسماحته أثنى على الدور البارز الذي قدمه فضيلته خلال مسيرة عمله في دار الإفتاء، التي ناهزت عشرين عاماً، مثنياً على أدائه المميز، وتمنى فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، نائب المفتي العام، لفضيلة د. ياسر حماد التوفيق في حياته المستقبلية، وأن يمتعه الله بموفور الصحة والعافية.

بدوره شكر فضيلة الشيخ د. حماد سماحة المفتي العام وفضيلة نائبه وأسرة دار الإفتاء على هذه اللفتة الكريمة، متمنياً لدار الإفتاء دوام التقدم والرقي والازدهار. ثم ألقى الشاعر زهدي حنتولي قصيدة شعرية بالمناسبة، وفي نهاية الحفل قدم سماحته إلى فضيلة الشيخ د. ياسر حماد درع دار الإفتاء الفلسطينية، وقدمت له دائرة البحوث الشرعية مصحفاً باسم زملائه فيها.

المفتي العام يترأس جلسات مجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- العديد من جلسات مجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس، من مختلف محافظات الوطن، وقد ناقش المجلس موضوعات عدة، وأصدر قراراته بخصوصها، وطالب المجلس أبناء شعبنا الفلسطيني ودول العالم أجمع بالتصدي لسياسة الاحتلال وقطعان مستوطنيه، والمتمثلة في سرقة الأراضي وهدم البيوت، بالإضافة إلى القتل بدم بارد، معتبرها تعدياً سافراً على الشعب الفلسطيني ومقدساته، مطالباً الهيئات الدولية بالوقوف ضد هذه الاعتداءات، ومحذراً من التبعات الخطيرة لها.

كما حذر المجلس من محاولة سلطات الإحتلال إغلاق مصلى باب الرحمة، مؤكداً أن المسجد الأقصى المبارك هو ملك للمسلمين وحدهم، ولا يحق لأي جهة التدخل في شؤونه، ومحذراً من أن الفلسطينيين والمرابطين لن يسكتوا عن أي اعتداء على مقدساتهم وأرضهم.

وردَّ المجلس على المدعو جاريد كوشنير" مستشار الرئيس الأمريكي السابق"، التي يرى فيها أن المسجد الأقصى المبارك للأديان جميعها، وأكد المجلس على أن المسجد الأقصى المبارك هو للمسلمين وحدهم، وأن زيارته تكون فقط بالتنسيق من خلال الشرعية الفلسطينية وحكومة المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة، التي هي صاحبة الوصاية على المقدسات الإسلامية في القدس الشريف، وأنه لا مكان لمهادنة مع الاحتلال، وأن من يأتي لزيارة المسجد الأقصى المبارك مهادناً للمحتل يعامل معاملة المستوطن والمحتل الإسرائيلي، محذراً الدول المطبعة ومن دار في فلكهم من التفريط بقضية فلسطين، ومعتبراً أن ما يسمى بصفقة القرن قد انتهت وفلسطين شامخة، وحذر المجلس من دعوات ما يسمى بمؤسسة (تراث جبل المعبد) للسماح لهم بدراسة التوراة في المنطقة الشرقية للمسجد، وأكد المجلس على أنه لا مكان لغير المسلمين فيه، مديناً قرار سلطات الاحتلال بتمديد فترة اقتحام المستوطنين للمسجد خلال الفترة المسائية.

من جانب آخر؛ أدان المجلس نصب الشمعدان اليهودي على سطح مبنى المسجد الإبراهيمي في الخليل بحجة الأعياد اليهودية، مؤكداً على أن المسجد الإبراهيمي رغم إجراءات

الاحتلال، إلا أنه مسجد إسلامي خالص للمسلمين وحدهم، وأن سلطات الاحتلال وقطعان مستوطنيه يخالفون قرارات الشرعية الدولية، ويتطاولون عليها في ظل صمت عربي وإسلامي ودولي مهين، وأن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن أرضهم ومقدساتهم، مهما أوغل الاحتلال في اعتداءاته.

خلال ترأسه اجتماعاً لمفتي المحافظات

المفتي العام يدين منع أعمال الترميم في المسجد الأقصى المبارك

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد أحمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، اجتماعاً لمفتي المحافظات، بحث خلاله آلية عمل الدار والنهوض بها، خاصة في ظل الظروف الصعبة، وانتشار جائحة كورونا.

وأكد سماحته على أن الدار استطاعت رغم الظروف الصعبة، والإغلاقات أن تحقق إنجازات يشار إليها بالبنان، مشيداً بأصحاب الفضيلة المفتين والموظفين الذين لا يتأخرون عن تقديم أي خدمة ممكنة للمواطنين، وتسهيل أي عقبات في الخدمة وتذليلها، وبين سماحته أن منهج عمل الدار يقوم على الوسطية. من جانب آخر، أدان سماحته والمفتون منع سلطات الاحتلال أعمال الترميم في المسجد الأقصى المبارك، التي تشرف عليها لجنة الإعمار في مديرية

الأوقاف الإسلامية في القدس، وفي السياق ذاته؛ أدان المفتون منع سلطات الاحتلال لجنة إعمار الخليل من استكمال أعمال الترميم والصيانة في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، مؤكدين على أن المسجد الأقصى المبارك والمسجد الإبراهيمي الشريف هما للمسلمين وحدهم لا يشاركهم فيهما أحد، ولا يحق لغيرهم التدخل في شؤونهما.

وعلى الصعيد ذاته؛ حذر المجتمعون من مخطط استيطاني لتحويل قصر المفتي الحاج أمين الحسيني، رحمه الله، في حي الشيخ جراح في مدينة القدس إلى كنيس يهودي، ومضاعفة عدد الوحدات الاستيطانية في محيطه من 28 إلى 56 وحدة استيطانية، وذلك ضمن مساعي سلطات الاحتلال الرامية إلى تهويد المدينة المقدسة، وطمس كل ما هو عربي إسلامي فيها، مطالبين المنظمات الدولية كافة، بما فيها اليونسكو، بضرورة أخذ مواقف حازمة وصارمة ضد الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ومستوطنوها ضد المسجد الأقصى المبارك ورواده المسلمين، وعدوانها المتواصل ضد المساجد والكنائس الفلسطينية.

المفتي العام يفتتح المقر الجديد لدائرة إفتاء نابلس

نابلس: افتتح سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك- وعطوفة محافظ نابلس اللواء إبراهيم رمضان، المقر الجديد لدائرة إفتاء محافظة نابلس، بحضور عددٍ من الشخصيات الرسمية الدينية والشعبية وموظفي الدار.

وقدم سماحته درعاً لكل من عمر هاشم، رئيس الغرفة التجارية والعميد سعادة سعادة، رئيس اللجنة العلمية الخيرية، تقديراً لجهودهما في ترميم المقر الجديد، كما كرم فضيلة الشيخ أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس- والعاملين في الدائرة لجهودهم وتفانيهم في العمل، وألقى كلمة أشاد فيها بعمل دار الإفتاء بنابلس، وأن افتتاحهم المقر الجديد يساهم في تحسين الخدمة المقدمة للمواطنين.

بدوره شكر كل من رئيس الغرفة التجارية ورئيس اللجنة العلمية، دار الإفتاء على تكريمهما.

ثم قام سماحته والحضور بتفقد المقر الجديد، واستمعوا لشرح عن عمل دائرة الإفتاء في نابلس، وكان سماحته قد بدأ زيارته لمحافظة نابلس بزيارة اللواء إبراهيم رمضان، والتقى بطاقم المحافظة.

كما زار المهندس سميح طبيلة- رئيس بلدية نابلس، مشيداً بالدعم الذي تقدمه البلدية للدار ولخدمة المواطنين، ورافقه خلال جولته فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله- نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- والسيد محمد جاد الله- المدير العام للشؤون الإدارية والمالية- وفضيلة الشيخ أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس.

المفتي العام على رأس وفد من دار الإفتاء يزور محافظة سلفيت

سلفيت: قام سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة إلى محافظة سلفيت، التقى خلالها بعطوفة المحافظ اللواء د.عبد الله كميل، بحضور قادة الأجهزة الأمنية، ومديري الدوائر الرسمية المدنية، وممثلي الهيئات الشعبية والمدنية، واستمع سماحته من اللواء كميل إلى شرح عن محافظة سلفيت، التي يحيط الاستيطان بها من كل جانب.

وبين أن عدد التجمعات السكنية الفلسطينية (18) تجمعاً مقابل (24) مستوطنة، وسبع بؤر استيطانية أخرى، مؤكداً على أنه رغم هذه المخاطر إلا أننا سوف نبقى ندافع عن أرضنا، ولن نتنازل عن شبر واحد منها.

ثم قام سماحته والمحافظ بزيارة لدائرة الإفتاء في محافظة سلفيت، مشيداً بعملها وبالخدمات التي تقدمها للمواطنين، واستمعا إلى شرح عن عمل دار الإفتاء، قدمه فضيلة الشيخ جميل جمعة – مفتي محافظة سلفيت.

دار الإفتاء تقدم درعاً تقديراً لرئيس بلدية البيرة

البيرة: قدم فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، نائب المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة،درع تقدير باسم سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ونائبه إلى السيد عزام إسماعيل – رئيس بلدية البيرة، تقديراً لجهوده الخيرة ونشاطه ومجلسه في مدينة البيرة، وتعزيزاً للتعاون المشترك بين المؤسستين، وذلك بحضور الأستاذ محمد جاد الله – مدير عام الشؤون الإدارية والمالية في دار الإفتاء، والشاعر زهدي حنتولي، وفضيلة الشيخ ماجد صقر من وزارة الأوقاف، ونائب رئيس بلدية البيرة السيد جمال شلطف، وعبر الطرفان عن حرصهما على استمرارية التعاون فيما بينهما في المجالات المشتركة جميعها لخدمة الوطن والمواطنين.

بدوره رحّب رئيس بلدية البيرة بوفد دار الإفتاء، وشكره على هذه اللفتة الكريمة، واستعرض بعض نشاطات البلدية التي تتخذها لتسيير حياة المواطنين ومصالحهم العامة والخاصة في المدينة.

نشاطات لمفتي محافظة بيت لحم

بيت لحم: استقبل فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم- في مكتبه السيدة نتاليا ويلز مندوبة بعثة الصليب الأحمر الدولي في بيت لحم، حيث أطلعها

على نشاطات الدار ودورها في الحفاظ على السلم الأهلي، بالإضافة إلى تقديمه شرحاً حول الثقافة الإسلامية السمحة القائمة على الوسطية، بعيداً عن المغالاة والتطرف، وشارك في وقفة احتجاجية ضد فوضى السلاح في مخيم الدهيشة، وألقى كلمة أكد فيها على ضرورة الحفاظ على الأمن والسلم المجتمعي وإنهاء هذه الظاهرة، كما شارك في المعرض البيئي الأول حول التنوع، وشارك في ورشة عمل بعنوان: "الطرق الرسمية البديلة لحل النزاعات" عقدت بدعوة من مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية، وألقى العديد من الدروس الدينية في مسجد مخيم الدهيشة وفي مسجد الرباط في بيت لحم، كما شارك في العديد من البرامج الدينية الإعلامية، أجاب خلالها عن العديد من استفسارات المواطنين في مختلف جوانب الحياة

مفتي محافظة جنين يشارك في ندوة دينية ونشاطات أخرى

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب – مفتي محافظة جنين- في ندوة دينية عقدت في دائرة العمل النسائي في محافظة جنين، تحدث فيها عن أن الموت قدر من الله سبحانه وتعالى، كما أن الحياة قدر لا دخل للإنسان فيهما، وتحدث عن ضرورة الحفاظ على الصحة العامة والوقاية من الأمراض، كما زار بلدية مرج ابن عامر، والتقى رئيسها وأعضاءها، وبحث معهم سبل حل المشكلات في المنطقة الشرقية للمحافظة، وشارك برفقة عطوفة محافظ جنين، بافتتاح مشروع استصلاح الأراضي القريبة من جدار الفصل العنصري قرب عربونة ودير غزالة وفقوعة وجلبون، وشارك في إلقاء العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية، بالإضافة إلى العديد من البرامج الإعلامية الدينية عبر مختلف وسائل الإعلام.

مفتي محافظة نابلس يشارك في مؤتمر وطني ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش -مفتي محافظة نابلس- في المؤتمر الوطني الذي عقد لرفض التطبيع مع الاحتلال بحضور العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية، وشارك في ورشة عمل حول قضايا المرأة والمواد القانونية المتعلقة بها، التي عقدت في مقر وزارة شؤون المرأة في رام الله.

واستقبل في مكتبه مدير هيئة التوجيه السياسي في محافظة نابلس، وبحث معه التعاون في إلقاء برنامج تثقيفي لنشر الوعي الديني بين أبناء الأجهزة الأمنية، كما ألقى العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية في مساجد المحافظة، تناول فيها العديد من الموضوعات

المختلفة، وشارك في العديد من البرامج الدينية عبر مختلف وسائل الإعلام، أجاب فيها عن استفسارات المواطنين في مختلف جوانب الحياة، وشارك في اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة، وذلك لبحث العديد من الموضوعات التي تتعلق بأوضاع المواطنين، وألقى محاضرة دينية في مدرسة عمر بن الخطاب الثانوية، وتحدث عن السلوكات الطيبة والأخلاق الحسنة، بتنظيم من هيئة التوجيه السياسي، إضافة إلى مشاركته في حل العديد من النزاعات والخلافات العائلية والعشائرية في المحافظة.

مفتـي محافظـة طوبـاس يشـارك في اجتـماع المجلـس التنفيـذي ونشـاطات أخـرى

طوبـاس: شـارك فضيلـة الشـيخ حسـين عمـرو- مفـتي محافظـة طوبـاس- في اجتمـاع المجلـس التنفيـذي للمحافظـة، وشـارك في حضـور افتتـاح معـرض الفـن التشـكيلي "القـدس قبلـة الـروح"، الـذي عقـد في قاعـة مكتـب الثقافـة في المحافظـة، وشـارك في حفـل تكريـم الشـاعر والأديـب زيـاد المبسـلط، في قاعـة بلديـة طوبـاس.

مفتي محافظة سلفيت يلقي محاضرة دينية ونشاطات أخرى

سـلفيت: ألقـى فضيلـة الشـيخ جميـل جمعـة – مفـتي محافظـة سـلفيت- محاضرة دينيـة بعنـوان: "التوبـة إلى اللـه" وذلـك أمـام عـدد مـن نـزلاء السـجن في شرطـة محافظـة سـلفيت، حثهـم فيهـا عـلى التوبـة والرجـوع إلى اللـه سـبحانه وتعـالى، والنـدم عـلى مـا فـات مـن الذنـوب، كمـا زار قيـادة الأمـن الوطـني في المحافظـة، وألقـى موعظـة لمنتسـبي الجهـاز، حثهـم فيهـا عـلى الصـبر والتحمـل وحسـن النيـة.

مسابقة العدد 152

السؤال الأول: ما .....؟

1. السورة القرآنية التي يطلق عليها (عروس القرآن)
2. تفسير العز بن عبد السلام لقوله تعالى: {الأرض المقدسة}
3. وصف الصدقة التي يتصدق بها الذي يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله
4. المراد بالاستعجال المانع لاستجابة الدعاء
5. حكم النرد عند جمهور العلماء
6. اسم قبيلة (ثمامة بن أثال)
7. نوع عمليات التفكير التي يندرج تحتها التحليل والتركيب والاستنتاج

السؤال الثاني: متى .....؟

1. فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس
2. يزول سخط الله عمن خاصم في باطل
3. تكون الأرض قيعان

السؤال الثالث: من.....؟

1. الذي تبسم لكعب بن مالك تبسم المُغضَب
2. المخاطب في قوله تعالى:{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (يوسف:69)
3. الصحابي الذي قال: (إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ... ولكن امضِ ونحن معك)
4. الذي طلب أن يوقد له على الطين، فيجعل له صرحاً
5. من القائل:.....؟

أ. ومن يك ذا فم مرَّ مريض يجد مراً به الماء الزلالا

ب. داسوا ثراها بأقدام مدنسة قد أفسدوها فحال القدس يشقيني

لبيك قبلتنا يا فخر أمتنا عدنا بهمتنا بالعزم والدين

السؤال الرابع: كم .....؟

1. سبق وضع المسجد الحرام في الأرض المسجد الأقصى المبارك
2. ناهزت مدة خدمة فضيلة الشيخ ياسر حماد في دار الإفتاء الفلسطينية
3. يبلغ عدد الوحدات الاستيطانية القائمة حالياً في محيط قصر المفتي((الحاج أمين الحسيني) رحمه الله، في الشيخ جراح

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :
- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- أن لا يقل عمر المتسابق عن 10 سنوات
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 152
مجلة الإسراء
مديرية العلاقات العامة والإعلام/ دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 150

السؤال الأول: ما.....؟

- أي في الشجر ترعون مواشيكم
- الذبابة
- الموتى، والعاجزون عجزاً دائماً بسبب كبر السن أو المرضى الذين لا يرجى لهم شفاء
- فرض كفاية
- الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.
- غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- القسطنطينية
- عزام إسماعيل

السؤال الثاني: من .....؟

- إبراهيم، عليه الصلاة والسلام
- الواحدي
- ثمامة بن أثال
- زهدي حنتولي
- أحمد شوقي

السؤال الثالث: كم .....؟

- مرة واحدة
- (19) سنة
  (11) أخاً
- (360) نصباً
- (مائة)

السؤال الرابع: أين .....؟

- القسطنطينية/ اسطنبول
- عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية
- في مقر جامعة القدس المفتوحة/ طوباس

الفائزون في مسابقة العدد 150

اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة
1. إيمان عبد المعطي المصري	نابلس	250
2. بشير فاروق محمد كميل	جنين	250
3. أفنان أسعد كتوت	رام الله	250
4. محمود محمد عبد الكريم أبو فرح	طولكرم	250
5. صبحية محمد تايه أبو سريس	طوباس	250
6. طارق عصام غانم	قلقيلية	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم المختلفة من المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها، إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس، سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، أو حواشٍ سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية .

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps